الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إستراتيجية الاستعمار الفرنسي في إخضاع الصحراء الجزائرية خلال القرن 19م

مذكرة بحث مقدمة لنيل شهادة الماستر 2

في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطلبة:

حليمة زواوي

خالد أوعيل

ليلى بوعكاز

إشراف الدكتور:

خير الدين شترة

السنة الجامعية: 1435هـ/ 1436هـ - الموافق لـ 2014م/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

نهدي هذا العمل.....

إلى شهداء الوطن.....

إلى كل طلاب العلم والمعرفة والبحث.....

إلى من كانوا لنا الروح والحب والحنان إلى الوالدين أطال الله في عمرهما.....

إلى كل أساتذة قسم التاريخ.....

إلى كل زملائنا في التخصص.....

إلى كل من كان له مكان في قلوبنا ونسيه قلمُنا.....

□

*** الطلبة الباحثون***

الشكر والعرفان

الشكر لله أولاً وأخيراً...و الحمد الله وحده...على توفيقنا في إنجاز هذا العمل.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف الدكتور خير الدين شترة الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته العلمية طوال إنجاز هذا البحث.

كما يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذتنا الذين أذكوا في نفوسنا حب المعرفة وحب العلم وزرعوا فينا روح البحث والإنتاج...إلى من أوسعوا صدورهم طويلاً لأسئلتنا وأغضوا عن هفواتنا.

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان الخالص إلى كل مشرفي : المكتبة الجامعية...مكتبة المتحف...مكتبة دار الثقافة...مكتبة حمام الضلعة بولاية المسيلة.

إلى كل الزملاء والزميلات بقسم التاريخ الذين أسهموا معنا برعايتهم العلمية على رأسهم يوسف دبش وسمية بن حليمة.

إلى كل من ساعدنا سواء من قريب أو من بعيد

لكم جزيل الشكر والتقدير.

المقدمة

الإطار العام للموضوع :

كانت الجزائر عرضة للعديد من التحرشات والاعتداءات الاستعمارية الأوربية المتكررة كانت نهايتها احتلال مدينة الجزائر من طرف القوات الفرنسية في صائفة 1830م، ورغم كل المسوّغات والمبررات التي رّوجها الغزاة لهذا الاعتداء، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك، فالهجمة الفرنسية على الجزائر لم تكن مجرد صفعة تأديبية للداي حسين، و لم تكن عملاً تسعى فرنسا من خلاله لرد كرامتها المُهانة؛ بل إن هذا العمل العدواني على الجزائر كان يحمل في طياته مشروعًا استعماريًا متكاملاً فالعدوان لم يتوقف عند أسوار مدينة الجزائر و لم ينته بإزالة الداي من منصبه، فالفرنسيون احتلوا المدينة وعاثت قواتهم فيها فساداً، لتتحرك بعد ذلك وحداتهم العسكرية نحو الدواخل مسخرة كل إمكاناتها البشرية والمادية من أجل احتلال كل البلاد من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، هذا الأخير الذي اخترناه ليكون موضوعًا لبحثنا الموسوم بـــ

"إستراتيجية الاستعمار الفرنسي في إخضاع الصحراء الجزائرية خلال القرن 19 م".

إن هذا الإقليم الواسع وبخصوصيته المتميزة كانت له اهتمامات خاصة لدى سلطات الاحتلال، التي لم تدخر جهدًا للسيطرة عليه أولاً والاحتفاظ به ثانياً. ومن هنا ارتأينا العمل على هذا الموضوع للبحث عن الجهود والمخططات التي طبقتها القوات الفرنسية من أجل السيطرة على هذا الإقليم محاولين الكشف عن كيفية تعامل سكان المنطقة مع المخططات الاستعمارية التي استهدفت كيانهم وأرضهم.

دوافع اختيار الموضوع:

يعود اختيارنا لهذا الموضوع لعدة دوافع منها الموضوعية المرتبطة بطبيعة الموضوع ويمكن إيجازها في:

- محاولة التعرف على المخططات التي طبقتها فرنسا بالصحراء الجزائرية خلال القرن 19م.
- العمل على كشف بعض الخبايا المتعلقة بممارسات الفرنسيين في إقليم الجنوب الجزائري.
- المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر من خلال تسليط الضوء على تاريخ المنطقة.

ومما لا شك فيه أن وراء اختيار الباحث لموضوع معين ميول ذاتية ساهمت في اختياره، بالنسبة إلينا ومن خلال تدرجنا في الدراسات التاريخية تعرضنا لمقاومات الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي، وكيف تعامل هذا الأخير معها، فأساليبه القمعية أجبرت الكثير من رجالات المقاومة على التوجه نحو الصحراء التي شكلت قاعدة خلفية وملاذًا لهؤلاء، الأمر الذي بعث في ذواتنا الرغبة في تتبع حركية هؤلاء في هذا الإقليم وكيف تعاملت قوات الاحتلال معه ومع سكان الجنوب الجزائري؟

إشكالية البحث:

لعل الإشكالية الرئيسية للموضوع هي كيف استطاع الفرنسيون تنفيذ مخططاتهم الإستراتيجية التي استهدفت إخضاع إقليم الصحراء الجزائرية؟ ويمكن أن ندرج تحت الإشكالية الرئيسية جملة من الإشكاليات الفرعية:

- ما هي الدوافع التي أدت بالفرنسيين لاحتلال صحراء الجزائر؟
- ما هي الخيارات التي توفرت لدى السلطات الاستعمارية من أجل تنفيذ مخططاتها؟
- ما هي الآثار التي ترتبت عن احتلال فرنسا لصحراء الجزائر؟
- كيف كان رد فعل سكان الصحراء على هذه المخططات؟

أما عن الإطار الزماني والمكاني للبحث فمكانيًا ينحصر موضوع بحثنا في إقليم الصحراء الجزائرية المطابق للحدود السياسية للدولة الجزائرية، أما زمنيًا فمجال الدراسة هو القرن التاسع عشر(19م).

مناهج للبحث:

من أجل الإجابة على الإشكاليات المطروحة توجب علينا الاعتماد على المنهج التاريخي الذي يُعد من أكثر مناهج البحث تطبيقًا في أوساط الباحثين، فهو الذي يمكن من خلاله الإجابة عن أسئلة تتعلق بالماضي، بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث متمثلاً في محاولته لاستنتاج العلاقة بين الحوادث والربط بينها، فهو عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثمَّ تمحيصها وأخيرًا تأليفها ليتم عرض الحقائق أولاً عرضًا صحيحًا في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذٍ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة، لهذا اعتمدنا هذا المنهج في بحثنا باعتباره الأنسب خصوصاً أن الصحراء الجزائرية عرفت الكثير من الحوادث وكانت مسرحًا لكثير من الأنشطة، والمخططات الاستعمارية، والحملات العسكرية، ما تطلَّب منَّا جمع المادة الخبرية المتعلقة بها وتمحيصها، وترتيبها وعرضها وفق معطيات علمية دقيقة.

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يرتبط ارتباطًا كبيراً بالظواهر الإنسانية التي تتسم بالتبدل والتحوّل، وهو مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظواهر اعتمادًا على الحقائق والبيانات، فالباحث يصف الظاهرة وصفًا كمياً وكيفيًا دقيقاً حتى يتمكن من الإلمام بكل ما يدور ويؤثر في الحادثة المدروسة من جميع الجوانب، لذا كان من البديهي استخدام هذا المنهج باعتبار موضوع بحثنا يتعلق بوقائع تاريخية مرتبطة بالحياة الإنسانية في صحراء الجزائر والتي تعرض أبناؤها إلى كثير من الحملات العسكرية والمخططات الشرسة التي استهدفت ضرب البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذا المجتمع، لذا تم توظيف

هذا المنهج لوصف هذه الأعمال والتعبير عنها تعبيرًا كيفياً وكمياً وتقديم أمثلة وإحصاءات تعبر عن هذه الأفعال والمخططات الاستعمارية.

خطة البحث:

تناولنا في هذه الدراسة المتواضعة أهم جوانب الموضوع، حيث قسَّمناها إلى خمسة فصول، حيث تناولنا في الفصل الأول تمهيد حول الجغرافية التاريخية للصحراء الجزائرية وتمَّ من خلاله التطرق إلى الخصوصية الجغرافية لهذا لإقليم بالإضافة إلى الصحراء الجزائرية بين المنظور العربي الإسلامي والأوربي، ثم الأهمية الإستراتيجية للصحراء الجزائرية، أما الفصل الثاني فكان بعنوان النشاط الديني والعلمي للاستعمار الفرنسي بإقليم الصحراء الجزائرية وتمَّ من خلاله التطرق إلى الحملات التبشيرية والبعثات العلمية، ونشاط الجواسيس الفرنسيين بالصحراء الجزائرية، أما الفصل الثالث فجاء بعنوان سياسات الإخضاع العسكري والسياسي للاستعمار الفرنسي للصحراء الجزائرية وتناولنا فيه الحملات العسكرية الفرنسية والإستراتيجية الفرنسية لإدارة الصحراء الجزائرية، ليتم التطرق في الفصل الرابع إلى سبل ووسائل الإخضاع الاقتصادية والاجتماعية لهذا الإقليم. حيث ركَّزنا من خلاله على المخططات والمشاريع الاقتصادية، وسياسة ضرب البنية الاجتماعية لمجتمع الصحراء الجزائرية، أما الفصل الأخير فتعرضنا من خلاله إلى موقف الجزائريين من سياسات الاستعمار المختلفة من خلال التعرف على المجهودات المبذولة في مقاومة الحملات العسكرية وكذا دور الطرق الصوفية والزوايا في الحفاظ على الموروث الحضاري للمنطقة، لنصل في ختام الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي المدرجة في خاتمة البحث.

الدراسات السابقة:

لقد اعتمدنا في موضوعنا هذا على مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية التي تناولت الصحراء الجزائرية أثناء فترة الاحتلال أو ركزت على منطقة معينة منها، وقد تنوَّعت هذه الدراسات من حيث التخصص فمنها الدراسات الجغرافية ومنها التاريخية وكانت باللغتين العربية والفرنسية، ومنها المصادر ومنها المراجع، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر كتاب البلدان لليعقوبي وهو مصدر متخصص في وصف البلدان القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس للإدريسي، وهو كتاب مصدري متخصص في الجغرافيا كما اعتمدنا على مراجع جغرافية منها عبد القادر حليمي وكتابه جغرافية الجزائر وأحمد توفيق المدني وكتابه جغرافية القطر الجزائري أما من الناحية التاريخية فاعتمدنا على عدد معتبر من المؤلفات منها كتابات إبراهيم مياسي (التوسع الفرنسي في الصحراء، قبسات من تاريخ الجزائر، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية) وبومهلة التواتي، (الاحتلال الفرنسي)، وسعد الله وكتابه (تاريخ الجزائر الثقافي)،... وغيرها من الدراسات باللسان العربي ، أما بالفرنسية فاعتمدنا على مجموعة من المصادر نذكر منها: مقالات الجنرال بيلوتGénéral A. Bellot

وأندري مورتالAndré Mortel ، وشارل أندري جوليان Charles Robert AGeron وغيرها بالإضافة إلى مجموعة من المذكرات الجامعية المتخصصة التي تناولت تاريخ الصحراء ونوقشت عبر العديد من الجامعات الجزائرية.

صعوبات البحث:

لكل موضوع بحث رغم متعة التلقي والاكتشاف تبعات وصعاب وعقبات متنوعة بقدر ما تثقل كاهل الباحث بتكاليف مادية ومعنوية بقدر ما تزيد من إصراره وتقوي من عزيمته على تحقيق الأفضل من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وبالنسبة إلى موضوعنا فأول العقبات التي صادفتنا هي ندرة المصادر المحلية التي تناولت إقليم الصحراء أثناء فترة الاحتلال والعكس بالنسبة للمصادر الفرنسية التي تتطلب الحذر في التعامل مها خصوصًا وأن معظم مؤلفيها ضباط في جيش الاحتلال، أما العقبة الثانية فهي شساعة إقليم الصحراء و تنوع الحوادث التاريخية وتسارعها وصعوبة الوصول إلى المادة الأرشيفية التي لا يزال الكم الهائل منها لدي الدولة الفرنسية خصوصاً ما تعلق بنشاط الجواسيس الفرنسيين داخل هذا الإقليم ناهيك عن عدم قدرتنا من الوصول إلى إحصائيات ومعطيات تتعلق بجرائم فرنسا في حق سكان الجنوب سواء الجرائم الاقتصادية أو البشرية.

الفصل الأول

تمهيد حول الجغرافية التاريخية للصحراء الجزائرية

- الخصوصية الجغرافية لإقليم الصحراء
- الصحراء الجزائرية بين المنظور العربي الإسلامي والأوربي
- الأهمية الإستراتيجية للصحراء الجزائرية

1. الخصوصية الجغرافية لإقليم الصحراء:

على ضفاف البحر الأبيض المتوسط الذي نشأت حوله سائر مدنيات العالم وعلى هامة القارة الأفريقية العتيقة يقع القطر الجزائري[1]، بمساحة شاسعة تقدر بـ 2.381.741كلم[2]، وبتضاريسه المتنوعة التي تشكل غالبيته الصحراء بمساحة تعادل 1.987.600كلم[2]. هذه الأخيرة وباعتبارها إقليماً هاماً في هذا القطر وذلك لما شهدته من حوادث كثيرة وتجاذبات مختلفة بين أبناءها من جهة وبين القوات الغازية من جهة أخرى. وباعتبار هذا الإقليم (أي الصحراء) يمثل الإطار المكاني لموضوع بحثنا توجب علينا التعرف على خصوصياته الجغرافية والطبيعية، و إنّ الصحراء الجزائرية جزء لا يتجزأ من التراب الوطني فهي بذلك إقليم جزائري يقع في جنوب القطر وحدوده تنطبق مع الحدود السياسية للدولة مع كل من تونس، ليبيا، النيجر، مالي، موريتانيا، الصحراء الغربية، المغرب، أما حدها الشمالي فهو طبيعي يتمثل في سلسلة الأطلس الصحراوي. وهذا الإقليم يتمتع بخصائص جغرافية تميزه عن بقية الأقاليم الأخرى.

أ. **التشكيلات التضاريسية للصحراء:** إن هذا الإقليم الشاسع يقع بين خطي طول 2.20° غرب خط غرينتش 8.30° شرق نفس الخط[3]، وبين دائرتي عرض 20° شمال خط الاستواء[4] وهي بذلك تحتل جزء من الصحراء الكبرى، كما أن هذا الإقليم يغطي غالبية مساحة القطر وتشكل مساحته حوالي 90% من المساحة الكلية للبلاد إلا أن طبيعة سطحه هي ذات معالم بسيطة وغير معقدة إذا ما قورنت بإقليم شمال البلاد والمنطقة التلية، فالصحراء تكاد تخلو من الجبال ماعدا جبال الهقار وأوغرطة، والارتفاعات المعقدة والحديثة، كما يتميز سطحها بوجود أحواض وانحدارات وعروق رملية متحركة[5]. وعلى العموم فإن هذا الإقليم ينقسم إلى ثلاثة مناطق متباينة[6]:

- **الصحراء المنخفضة الشرقية** (الحوض الشرقي الكبير): أطلق عليها بهذا الاسم سنة 1880م من طرف المهندس رولاند"ROULAND" حيث ورد هذا الاسم في تقريره العلمي، وعرَّفها بأنها عبارة عن مسطحات طباشيرية تحدها شمالاً سلسلة الأطلس وجنوباً مرتفعات الهقار، وترتبط إحداها بالأخرى من الشمال إلى الجنوب عن طريق تضاريس المناطق المجاورة لها، وهي الآن عبارة عن منخفض في شمال شرق

[1]- أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص4.

[2] - **Encyclopédie Universalise**, France, s.a, éditeur, paris, 1980, volune1, p 631

[3]- عبد القادر حليمي، **جغرافية الجزائر**، المطبعة العصرية، ط 1، الجزائر، 1968، ص8.

[4]- م.ن.و، **الأطلس العالمي**، م.ن.و، الجزائر، د.ت، ص ص 17، 18.ينظر الخريطة رقم 01.

[5]- رشدي محمد جرابة، **الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث**، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008م، ص 16.

[6]- ينظر الخريطة رقم 02.

الصحراء الجزائرية، وتتميز بعدة شطوط أهمها شط ملغيغ[1] الذي ينخفض بـ31م عن سطح البحر ليكون أخفض مكان بالجزائر كلها[2]، وتمتد الصحراء المنخفضة الشرقية على مسافة طولها حوالي 700كلم من الشمال إلى الجنوب، وعرضها نصف طولها تقريباً الأمر الذي ساعد على انتشار الواحات على غرار واحات سوف، وادي ريغ، الزيبان و تعتبر هذه المنطقة غنية بالمياه الجوفية[3].أما وسطها فتغطيه رمال العرق الشرقي في شكل أقواس تسمى بالكثبان الرملية. ويمكن تقسيم هذه الصحراء إلى عدة مناطق أهمها:

- **منطقة سوف**: تقع بين دائرتي عرض 33° و34°شمالاً وخطي طول6°و8°شرقاً على الأطراف الشمالية للعرق الشرقي الكبير، يحدها شط واد ريغ غرباً وشط ملغيغ وغرسة شمالاً وشط الجريد[4] شرقاً وتقدر مساحتها بحوالي80.000كلم^2[5].
- **منطقة ورقلة**: تقع على الحواف الغربية للعرق الشرقي الكبير.
- **منطقة الزاب**: أو الزيبان وتمتد من بسكرة إلى سهول الحضنة.

- **الهضاب الصخرية الشمالية** (الوسطى والغربية): تمتد من هضبة ميزاب شرقاً إلى حمادة "غير" GUIR" على الحدود المغربية غرباً، ومن سفوح سلسلة الأطلس الصحراوي الغربي شمالاً إلى غاية دائرة عرض 26° شمالاً[6]، ومن خصائص هذا الإقليم الارتفاع الذي يتراوح مابين 600 إلى 700م، و التي تتخللها أودية تنحدر من الغرب إلى الشرق[7]،و يمكن تقسيم هذا الإقليم إلى المناطق التالية:

- **سلاسل أوغرطة والساورة**: تمتد من سفوح الأطلس الغربي إلى التاسيلي، يبلغ عرضها في المتوسط حوالي 125م[8].
- **العرق الكبير**: سلاسل من الكثبان الرملية تمتد من بني عباس بأقصى الجنوب الغربي حتى هضبة المنيعة شرقاً وعرق الشيخ بالقرب من الحدود الجزائرية الموريتانية[9]، ويواصل امتداده إلى غاية حواف هضبة ميزاب شمالاً وكتلة تادمايت جنوباً وهو على شكل هلال حيث تبلغ مساحته حوالي 80.000كلم^2[10].
- **هضبة ميزاب**: تقع في الشمال والوسط، وتفصل الصحراء المنخفضة عن العرق الغربي الكبير[1].

---

[1]- **ملغيغ**: شط يقع جنوب بسكرة و يبعد عنها بحوالي 220كلم وعن واد سوف غرباً ب95كلم و عن ورقلة بـ160كلم، يكون جاف في فصل الصيف تقريباً لكنه يلمع كلمع المرآة...ينظر، رشدي محمد جرابة، المرجع السابق، ص ص (16-18).

[2]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 48.

[3]- أحسن دواس، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري**، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص

[4] -A.R voisin**, Le Souf (Monographie),** el-walid, el oued, 2004, pp15,16

[5]-محمد جرابة ، نفسه، ص18.

[6]- جمال الدين الدينا صوري وآخرون، **جغرافية العالم (أفريقيا و أستراليا)**، ج2، المكتبة الآنجلو مصرية، القاهرة، د.ت، ص 250.

[7]- نفسه، ص274.

[8]- جرابة، نفسه، ص 19.

[9]- حليمي، نفسه، ص 51.

[10]- جرابة، نفسه، ص 20.

- **حمادة "غير"**guir": تقع بين سفوح الأطلس الغربي وجبال أوغرطة أي في الشمال الغربي من منطقة أيرفود[2].
- **هضبة تادمايت**: تبرز هضبة ميزاب في الجنوب الغربي في شكل طية مرتفعة تحمل اسم تادمايت وتقع شمال مدينة عين صالح.

- **مرتفعات الجنوب الشرقي**(الهقار والطاسيلي): تحتل كتلة الهقار المحاطة بهضبة الطاسيلي بمساحة تقارب 300.000كلم^2[3] وتعتبر مركز وسط الصحراء الكبرى ومتوسط ارتفاعها 1000م. ومن أبرز قمم هذه المرتفعات نجد تاهات 3006م، قمة ايلمان2732م، أوزيكرام بـ2728م[4]. وهنا نشير إلى أن أول رسم تخطيطي لهذه المرتفعات ظهر سنة 1922م على يد "كونراد كيليان". ويمكن تقسيم هذا الإقليم (المرتفعات) إلى ما يلي:

- **الأتاكور توابعها**: تمثل رأس الهقار ووسطه، بها قمة "تاهات".
- **آناحف**: سلسلة من الهضاب المتصلة إلى الشرق من الأتاكور.
- **تتزروفت**: من أشد الجهات القاحلة، فهي الصحراء بمعنى الكلمة، تقع بين الكتلة الوسطى وبين أحنات أدرار الأيفوراس، تنعدم بها الحياة النباتية والحيوانية فهي صحراء الصحراء[5].
- **الأمادور**: هي عبارة عن رق صحراوي تقع شمال الأتاكور.
- **احنات**: تقع شمال غرب الهقار على امتداد الجنوب الشرقي على طول 200كلم جنوب الطاسيلي وبعرض من 10 إلى 15كلم في شكل حذوة حصان يبلغ ارتفاعها حوالي 650م[6].
- **طاسيلي الناجر**: يمتد من واد أغرغار[7] إلى غاية فزان بليبيا يتراوح عرضه من 60 إلى 150كلم ويصل ارتفاعه إلى 1200كلم.
- **طاسيلي الجنوب**: تقع جنوب الهقار تتخللها رؤوس جبلية مدفونة في الرمال والحصى كما هو الحال في منطقة "عين قزام"[8]

---

[1]- الديناصوري، المرجع السابق ، ص 275.

[2]-R.Furon**, le Sahara(Géologie, Recources, Minérales),** Payot, Paris, 1964,p 151.

[3]-هناك تقديرات تشير إلى أن مساحة هذه الكتلة هي 0.5 مليون كلم^2، ينظر، الهادي محمد، **أطلس الجزائر و العالم**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998م، ص 12.

[4]-محمد السويدي، **بدو الطوارق بين التغيرات و الثبات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 108.

[5] - EF.Gautier**, Mission Au Sahara**,T1,(Sahara Algérien),librairie Armand Colin, paris, 1908,pp14,15.

[6] - R.Furon**, Le Sahara**, IBID ,p105.

[7]-**وادي أغرغار**: يأتي من منطقة الهقار يجتاز المنطقة طوليا ليصب في الرواق الرملي المسمى حالياً"قاسي الطويل" بمنطقة حاسي مسعود بولاية ورقلة، ثم يواصل امتداده شمالاً ليصب في واد ريغ، ينظر،

EF.Gautier, **Mission**…IBID, p96.

[8]- جرابة، المرجع السابق، ص22.

ب- المناخ والغطاء النباتي بالصحراء الجزائرية:

- **المناخ:** تعتبر سلسلة الأطلس الصحراوي الجبلية بمثابة الحد الفاصل بين شمال البلاد وجنوبها، وهي بذلك تفصل بين إقليمين مناخيين مختلفين أحدهما إقليم المناطق الشمالية والثاني يسود الصحراء وهو يتميز بطقس يتباين تبايناً كبيراً بين الليل والنهار[1]، حيث أنه حار جاف تبلغ درجة حرارته نهار الصيف حوالي 50°، أما ليلاً فتختلف اختلافاً عظيماً فتصل إلى 6° تحت الصفر في ليالي الشتاء. وبذلك تكون الفوارق الحرارية اليومية كبيرة والفصلية مرتفعة باستثناء منطقة الهقار المتأثرة بالمناخ المداري. أما عن الأمطار فهي قليلة وغير منتظمة تقل عن 200 ملم سنوياً[2] حيث تسقط صيفاً والحرارة تكون أكثر اعتدالاً، أما باقي الصحراء ذات المناخ القاري الجاف فيزيد من قسوته شدة الرياح التي تفتت الصخور وتعري سطح الأرض وهو الأمر الذي يعيق مجرى الحياة اليومية لسكان الصحراء، كما أن لهذه الرياح تسميات عديدة منها "الشهيلي" في وسط الصحراء ونعني بها الرياح الجنوبية، في حين هناك الرياح الخطيرة والزوابع القوية والمعروفة لدى الفرنسيين بـ"سيروكو" sirocco" وهي الرياح الجنوبية الشرقية[3]، و إنّ هذه الرياح الصحراوية تلعب دوراً كبيراً في تحديد فترات تساقط الأمطار والتي رغم ندرتها فهي تنقسم إلى فترتين: الأولى تبدأ من شهر نوفمبر إلى غاية جانفي وذلك عندما تهب الرياح الشمالية الغربية الممطرة على الهوامش الشمالية للصحراء فبذلك تتراوح الكميات المتساقطة بين 50 إلى 200ملم سنوياً، أما الفترة الثانية فتبدأ من شهر ماي إلى شهر سبتمبر عند هبوب الرياح الموسمية على الهوامش الجنوبية فتتراجع الكميات المتساقطة دون 50ملم سنوياً[4]، ورغم قلة الأمطار إلا أن الصحراء الجزائرية تتوفر على موارد مائية معتبرة وفي عدة أشكال منها:

- **الأودية:** تنحدر هذه الأودية من الأطلس الصحراوي وتصب في الشطوط وأحيانا تختفي وسط الرمال، وليس لهذه الأودية جوانب أو حدود معينة ويعود السبب في ذلك إلى عدم نظاميتها(أي إنها غير دائمة الجريان) وهي تنقسم حسب مناطق منابعها إلى: (أودية السفوح[5]، وأودية الجهة الشرقية التي تنحدر من جبال الأوراس وتصب في شط ملغيغ[6]، وأودية الجهة الغربية ومنها واد زرقون، واد الناموس[7]، وواد الساورة الذي يتلقى مياهه من جبال الأطلس المغربي ويخترق الصحراء الجزائرية[8]، وأودية الهقار التي تنحدر من أعالي الهقار

---

[1]- توفيق المدني، المرجع السابق، ص 41.

[2]- دواس ، المرجع السابق، ص 8.

[3]- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى و شواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1983م، ص. ص(15، 16).

[4]- عميراوي أحميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية(1837/1934)**، دار المعرفة الجزائر، 2012م، ص ص(12، 13).

[5]-**الارتوازية:** بئر ينفجر منها الماء تلقائياً و ذلك من خلال تسرب مياه الأمطار إلى باطن الأرض من خلال فجوات الأرضية حيث تتجمع المياه بشكل مضغوط في طبقات الأرض.ينظر، **المعجم الكبير**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2013م.

[6]- المدني، نفسه، ص 42.

[7]- عميراوي ، نفسه، ص 14.

[8]- العربي، نفسه، ص .ص (27، 28).

ومن بينها نجد واد تافاساست[1] وواد ايغرغار ويعتبر هذا الأخير أصل واد ريغ[2] ، والأودية المخترقة للصحراء منها[3]: واد ريغ، وادي سوف، واد جدى، أودية بلاد الشبكة: وهي أودية تقع بنواحي غرداية تتمثل في واد زكرير وواد النساء وواد ميزاب، وإلى جانب الأودية تتوفر صحراء الجزائر على مصدر آخر للمياه وهي المياه الجوفية والباطنية.

V الغطاء النباتي بالصحراء: يلعب كل من الماء والمناخ دور كبير في تحديد الغطاء النباتي للصحراء الذي يمكن تصنيفه إلى نوعين من النباتات، نجد النوع الأول يتمثل في نبات مؤقت ينمو بعد سقوط المطر ويصطلح على تسميته بالعشب[4]، أما النوع الثاني فهو النباتات المعمرة ومن أشهرها شجر النخيل والتين الشوكي والصبار، وعلى العموم فالصحراء الجزائرية تحصي أزيد من 500 نوع من النباتات وهذا العدد يختلف من منطقة لأخرى حيث يوجد بنواحي غرداية 300 نوع من النباتات والأمر نفسه بنواحي بني عباس بغرب الصحراء. ولعل أهم النباتات المشكلة للغطاء النباتي الصحراوي نجد(الحلفاء، البشنة، الشيح، الحرمل، الفيجل...)[5]، كما تمَّ زرع بعض النباتات الأخرى داخل الواحات كالثوم والبصل والفلفل والتبغ الذي زُرع في واد سوف وإقليم توات.[6]

V الثروة الحيوانية: تشير الرسوم الصخرية المتواجدة بالطاسيلي إلى العديد من الأنواع الحيوانية التي كانت متواجدة بالصحراء إلا أن معظمها اندثر مع مرور الزمن مثل الفيل القديم، الجاموس القديم، الزرافة[7]... ورغم قلة الغطاء النباتي والظروف المناخية الصعبة فلم يمنع ذلك بوجود ثروة حيوانية متنوعة كوجود الغزلان، المهاة، الماعز، والدمان...[8] وهي تعيش بالعرق الشرقي الكبير. ووجود بعض القوارض[9] مثل الأرانب البرية، وكذلك أنواع الطيور المهاجرة والعابرة للصحراء كالكروان والحبار وغيرها إلى جانب الطيور المستوطنة بالصحراء.[10] أما عن الحيوانات الأليفة فالجمل هو حيوان الصحراء الأول الذي يتميز بتحمل

---

[1]- صفاء عريق ، **المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة الجزائرية (1954-1962م)**، مذكرة ماستر، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014.ص 15.

[2]- المدني، المرجع السابق ، ص 42.

[3]- المدني، **أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 66.

[4]- داوس ، المرجع السابق، ص 10.

[5]- حليمي، المرجع السابق، ص ص(88، 90.)

[6]- توات: واحة كبيرة من بالجنوب تمتد من الغرب إلى الشرق و تضم عدة قرى أو قصور و توات هي مركز تجاري و ملتقى طرق الشمال و الجنوب و من أشهر مدنه تيميمون وقورارة...ينظر، فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص14.

[7]- جرابة، نفسه، ص 36.

[8]- **الدمان**: هي الغنم الجرداء من الصوف.

[9]- جرابة، نفسه، ص 38.

[10]- التواتي بومهلة، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية(1844/1916)**، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2009م، ص9.

الصحراء القاسية، وبناءًا على ما سبق يمكننا القول أن المناخ والطبيعة الصحراوية أثرت بشكل كبير على الثروة الحيوانية وأدت إلى فناء وانقراض الكثير منها التي خلدتها الآن الرسوم الصخرية وأثبتت الحفريات على تواجدها بالصحراء الجزائرية.

ت- **السكان بالصحراء الجزائرية:** يقطن صحراء الجزائر مجموعات بشرية تتكون من العرب والبربر. حيث أن العرب يشكلون مجموعة متجانسة أما البربر فينقسمون إلى عدة عناصر، وعن سكان الصحراء في فترة الاحتلال يقول كلاماجرون: «..هم جنسان يعمران الصحراء: البربر والعرب، حيث ينقسم البربر إلى مجموعتين بارزتين الأولى هي تلك التي رضخت للسيطرة العربية وتعيش على زراعة الواحات أحياناً لحسابها الخاص وفي غالبها لحساب أصحابها، أما المجموعة الثانية والمتميزة بأنها أكثر جرأة وإقداماً وأكثر حباً للحرب والقتال فقد تمركزت بمناطق لا يستطيع العرب الوصول إليها[1]، هذه المجموعة هي الطوارق..»[2]، و على ذات السياق يذهب نيال أوليدون إلى القول: «..يقطن الصحراء قبائل الحضر وقبائل البدو الرحل المرتبطة بالأرض الأم التي هي موطنها الذي تحبه، حتى الشعوب الأقل تحضراً تحس هذا الحب بدرجة كبيرة، أيضاً سكان الصحراء يفضلون رمالها القاحلة ومناخها الحار..»[3]. إن كلام كلاماجرون عن سكان الصحراء فيه نوع من المغالطة حيث يصور العرب من سكان الصحراء في هيئة غزاة أجبروا المجموعة الأولى من البربر على الخضوع لهم وفق منطق الغالب والمغلوب، كما أنه وصف المجموعة الثانية الطوارق بالشجاعة إلا أنه أخفق في نعتها بالهروب إلى مناطق لا تصل إليها أيدي العرب الغزاة على حد تعبيره وهو ما ينافي صفات الشجاعة لدى هؤلاء، إلا أنه ما يمكن تأكيده هو أن سكان الصحراء الجزائرية وعلى قلتهم مقارنة بسكان شمال البلاد يتمركزون حول الواحات التي بلغت حوالي 400 واحة خلال القرن التاسع عشر ميلادي وأهمها نجد واد ريغ، وادسوف، بني ميزاب[4]، أما النسبة الكبيرة من سكان الصحراء فتعيش حياة البداوة ومرجع ذلك إلى الظروف الطبيعية الصعبة التي تحرمهم من الاستقرار فيلجأون بالتالي إلى الهجرات إمّا داخل المنطقة أو خارجها. وعن هؤلاء الرحل يقول أوليدونolidon: «الرحل هم كثر في مناطق الرمال، وهم قادمون من بلاد العرب»، أما سكان الحضر فهم يعيشون داخل القرى التي تمثل الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي والسياسي حيث يمارسون الزراعة والتجارة.

---

[1] -Ciamangeran.JJ, **l'Algérie Impressionne De Voyage 17mars-4 juin1873**, paris, librairie germer bailler, 1874, p 172.

[2]- **الطوارق**: أو الملثمون هم شعب يستوطن الصحراء الكبرى جنوب الجزائر وشمال مالي والنيجر وجنوب غرب ليبيا، يتحدثون اللغة التارقية بلهجاتها الثلاث(تماجق، تماشق، تماهق) وسبب تسميتهم بالطوارق نسبة إلى طروقهم الصحراء و توغلهم فيها.ينظر، عمر الأنصاري، **الطوارق رجال الزرق**، دار الساقي، د.م، ص 49.

[3]- Niel.Olidon**, Le Géographie De l'Algérie,** 2eme édition,l.le gendre(Bône),1876, pp119,120.

[4] -IBID, p120.

إن ما أورده أوليدون آنفاً يعبر بصدق عن العلاقة الجيدة التي كانت تربط سكان الصحراء بحكم التمازج الذي حصل بين السكان نتيجة التعايش جنباً إلى جنب[1] فترة طويلة واعتناقهم للدين الإسلامي وهذا ما يُصَعِّب التمييز بين سكان الصحراء الذين شكلوا مجتمعًا متجانساً له عاداته وتقاليده المتشابهة إلى حد كبير. ومما يشار إليه أن المؤرخين الفرنسيين حاولوا من خلال كتاباتهم إحداث تمييز بين مختلف العناصر المكونة للصحراء على غرار ما أورده جورج رولاند georges Rolland حيث يقول بخصوص سكان واد ريغ: «سكان واد ريغ لهم بشرة سمراء وشعر مجعد من أول نظرة تحسبهم زنوج...وفي الحقيقة هم من أسلاف البربر أي بيض ولكن عبر قرون تزوجوا نساء سود قدمت من السودان عن طريق القوافل...عموماً يتميزون بصفات الشرف والاستقامة مسلمون مثل أجدادهم الأوائل لكن أقل تعصباً من مصلحتنا أن نُقربهم منا ونبعدهم عن العرب الرحل، السلام المطلق يسود بين هذه الشعوب»[2]، لكن ما جاء به رولاند يهدف أولاً إلى تقسيم سكان الصحراء حسب المناطق يعتبر خطأ لأن سكان واد ريغ يمثلون صنفاً واحداً، كما أنه دعا إلى تطبيق سياسة التفرقة واستمالة طرف على الآخر لصالح الفرنسيين زيادة على اتهامه للمسلمين الأوائل بالتعصب. فكان بمثابة الوصي الذي يعرف ويقرر مصلحة سكان واد ريغ التي حتماً لن تكون بمهادنة المستعمر والرضوخ له. ونجد من كتابات الفرنسيين التي توضح السياسة الفرنسية في ذلك ما صرحه جول كامبون قائلاً: «إنه من الخطأ الاعتقاد أنه بالإمكان منح هؤلاء الأهالي بين عشية وضحاها نفس الحقوق التي يتمتع بها السكان الفرنسيون، ويرجع ذلك لسبب واحد هو أن هؤلاء يشكلون مجموعة سكانية لها تقاليدها وعاداتها وحضاراتها... التي تعتبر الأفضل والأحسن من حضارتنا نحن أمام شعب يقف صامداً إزاء إغراءاتنا المادية...»[3].

إن هذا التحليل الذي أدلى به كامبون وبالرغم من أنّ الهدف منه هو حرمان الشعب الجزائري من حقوقه إلا أنه يعبر عن حقيقة هذا الشعب من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب بكيان واحد له مقوماته التي يعتز بها وبأنه كان يقف صامداً أمام كل المحاولات الرامية إلى تفريقه والسيطرة عليه سواءً كان هذا التفريق مادياً أو ثقافياً. وباعتبار سكان الصحراء جزء من هذا الشعب فلا شك أنهم يحملون نفس الخصوصيات التي عبر عنها كامبون رغم هذه التقسيمات والتسميات المعهودة. وقد استقر بالصحراء الكبرى عدة تجمعات بشرية من أهمها:

[1]- عريق، المرجع السابق، ص 18.

[2] - Georges Rolland, **Le Conquête du Désert(Biskra, Touggourt, l'oud rir**), ehallamel et C[ie], éditeurs librairie colonial, France, 1889,pp (53,54.)□

[3]- جمال خرشي، **الاستعمار و سياسة الاستيعاب في الجزائر(1830/1962)**، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2009م، ص .ص (22، 23).

- **الطوارق**: ينتشرون في المناطق الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي[1].وهم ينقسمون إلى ثلاث فروع أساسية هي: طوارق التاسيلي الناجر، طوارق أهجار(أهقار)، طوارق أدرار نيفوغاس[2]، وهنا نشير إلى أن أهجار هي مركز قبائل الطوارق، كما أن كل قبيلة تنقسم إلى أفخاذ وعشائر وبطون يعيشون على تربية الماشية وقليل منهم من يمتهن الزراعة.

- **الشعانبة**: أصلهم من قبيلة سليم العدنانية العربية، يستقرون قرب غرداية في منطقة متليلي إلاّ أنهم أجبروا على النزوح جنوباً عقب توغل القوات الفرنسية للمنطقة، وكانوا يسيطرون على القوافل التجارية بين سواحل الجزائر وتمبكتو[3].
- **أولاد سيدي الشيخ**: وتتمركز هذه القبيلة بين الفقيق وكلومب بشار إلى غاية غربي الأغواط[4]
- **أولاد نايل**: هي قبيلة ذات أصول عربية، أقامت في المنطقة الممتدة بين بسكرة والجلفة[5].
- **الميزابيون**: ينحدر بنو ميزاب من قبيلة بني مصعب البربرية فرع زناتة، يتمركزون في غرداية وبريان وملّيكة، كما يتواجد عدد منهم في واد ريغ وتيميمون[6].

2. الصحراء الجزائرية بين المنظور العربي الإسلامي و المنظور الأوربي:

إن الحديث عن الصحراء الجزائرية لا يمكن فصله عن الصحراء الكبرى وذلك للاعتبارات التي ذكرت سابقاً فسحر الصحراء وغموضها يكاد يكون نفسه، و الوصول إليها من الصعب[7] لكنه ليس مستحيلاً. وهو الأمر الذي توقفنا عنده من خلال العديد من الكتابات والدراسات التي أُقيمت عنها عبر مراحل زمنية مختلفة لذلك توَجَب تقديم بعض المقاربات بين النظرة العربية والنظرة الغربية للصحراء من خلال بعض الدراسات والأبحاث.

أ. **الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات العربية والإسلامية**: قبل الحديث عن الصحراء الجزائرية يجدر بنا التطرق إلى تعريف الصحراء لدى العرب إلا أن مجرد سؤال عن مدلولها سيجعلك ترجع إلى قواميس اللغة

---

[1]- العربي، المرجع السابق، ص 174.

[2]- عريق، نفسه، ص 18.

[3]- تمبكتو: مدينة تقع بمالي حالياً

[4]- عريق، المرجع السابق ،ص 19.

[5]- يعود أصل هذه القبيلة إلى الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق و قد هاجرت هذه القبيلة إلى مصر ثم تونس و قدمت إلى الجزائر مطلع القرن 15م لتستقر بالغرب الجزائري وشملت الإقليم الوهراني وجزء منهم بالمغرب الأقصى.ينظر، إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م ، ص. ص(143، 144).

[6]- محمد عبد الحليم بيشي، **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، دار زمورة، الجزائر، 2013م، ص .ص(31-37).

[7]- دواس ، المرجع السابق، ص 12.

ومعاجمها[1]. فيعرفها ابن منظور في معجمه: «تلك المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل إنها الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه ، والصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا آكام ولا جبال ملساء وجمع صحراء صحراوات وصحارى وهي مؤنثة الصفة ويقال أصحر أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة»[2]. فالصحراء هي كلمة عربية تعني الأرض الجرداء وقد مثلت للعرب الأرض الواسعة المسطحة القاحلة من كل نبات في لون مزيج من الرمادي والبني وهذا هو المعنى الذي تناوله الأدب الجاهلي.حيث يصفها أحد الشعراء قائلاً: «مكان قفر...متروك غامض»، وقد تحمل كلمة الصحراء طابع الموت ولونه وهو التعبير الذي ورد لدى اليعقوبي حينما استعمل كلمة الصحراء في القرن التاسع ميلادي ليعبر به عن المكان الذي يدفن فيه الناس موتاهم أو المقبرة [3]، ثم ظهر نفس المصطلح (صحراء) في القرن نفسه في كتاب فتوح أفريقيا والأندلس لابن الحكم ويعني به ولأول مرة جزء من الشمال الأفريقي[4]، أما الإدريسي فأطلق لفظ الصحراء سنة 1154م على النطاق الشاسع الواقع بين سلسلة الأطلس الصحراوي وبلاد الزنج جنوباً وفزان شرقاً ومملكة صنهاجة غرباً[5]، كما أعاد الوزان[6] في القرن السادس عشر ميلادي استخدام الكلمة القديمة ليبيا، وفي العصور الحديثة استخدم مصطلح الصحراء الذي كان يطلق قديماً على هضبة" آير" air ليشمل كل مناطق الصحراء الممتدة مابين السودان[7] والبحر المتوسط[8].

وعلى غرار الصحراء الكبرى فإن الصحراء الجزائرية أخذت موقعاً مهماً في كتابات المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين الذين جالوا الأقاليم والبلدان سعياً وراء المعرفة والاستكشاف للاطلاع على أخبار غيرهم من الأمم أو التنقل إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج أو البيع والتجارة، وهكذا فقد زار الكثير منهم في الصحراء الجزائرية مسجلين بذلك ما رأت أعينهم وما لفت أنظارهم وما آثار انطباعهم[9] مقدمين بذلك خدمة كبيرة للمؤرخين والباحثين خصوصاً وأنهم أول من تعرَّف على أسرار المناطق الصحراوية. حيث نجد الإدريسي(561هـ/1165م) يقدم بعض الإشارات الهامة عن الصحراء الجزائرية والمغاربية من خلال كتابه (نزهة المشتاق)، و ابن سعيد المغربي الأندلسي(685هـ/1286م) في كتابه الجغرافيا يتحدث عن الجزء

[1] -HJ.Hugot, **le Sahara Avant le Désert,** édition des herpérides, Paris, France, 1974, p 20.

[2]- أبو الفضل ابن منظور ، **لسان العرب**، م4، دار صادر، بيروت، 1997م، ص 16.

[3]- أحمد ابن إسحاق اليعقوبي، **البلدان**، تح، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 2002م، ص 103.

[4]- عبد الرحمان ابن الحكم، **فتوح افريقية و الأندلس**، تح، عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، 1964م، ص 98.

[5]- أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **القارة الأفريقية و جزيرة الأندلس**، مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح، تق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص. ص (83-107).

[6]- حسن الوزان، **وصف أفريقيا، ج1**، ترجمة، محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 103.

[7]- الديناصوري، المرجع السابق، ص 251.

[8]- يسري عبد القادر الجوهري، **شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية**، دار الجامعات المصرية، مصر ، 1950م، ص 43.

[9]- الطيب بوسعد، **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الإسلامية و كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**، " مجلة البحوث و الدراسات"، ع 15، 2011م، المركز الجامعي غرداية، الجزائر، ص 433.

الجنوبي الشرقي من الصحراء الجزائرية[1]، كما نجد الرحالة ابن بطوطة في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) يقدم ما شاهده في رحلته عن الصحراء الأفريقية الكبرى بما فيها الصحراء الجزائرية هذا عن بعض الرحالة الذين كتبوا عن صحرائنا في العصر الوسيط. أما حديثاً فقد تناول العديد من الجغرافيين والرحالة المسلمين الصحراء الجزائرية أو جزء منها على الأقل من أبرزهم نجد حسن الوزان (957هـ/1550م) الذي تنقل عبر الصحراء الجزائرية مستقصياً عنها بنفسه معتمداً على مصادر إخبارية[2]، وبرجوعنا إلى مؤلفه (وصف أفريقيا) نجده يتكلم عن أقاليم مدن الصحراء الجزائرية حيث يذكر إقليم الزاب قائلا: «..يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا ويبتدأ غرباً نحو مسيلة»، ثم يذكر "تقرت" و"ورقلة" ويخبرنا بأن منطقة "الزاب" منطقة شديدة الحرارة ورملية وبها عدد لا يحصى من النخيل ويفصل هذا الإقليم بذكر مدنه فيقول: «يشمل الإقليم خمس مدن وعدداً كثيراً من القرى..»[3]، كما يذكر مدن "بسكرة" التي وصفها بأنها عريقة تعود إلى العهد الروماني ومدينة "البرج" و"طولقة" وغيرها من الأماكن التي ذكرها الوزان[4].

إلى جانب الوزان نجد العياشي المغربي[5] الذي دون مشاهداته عن الصحراء الجزائرية أثناء رحلته التي جمعها بين طيات كتاب أطلق عليه (ماء الموائد) الذي تحدَّث فيه عن جغرافية الصحراء وعن السكان وأخلاقهم وعاداتهم ومعيشتهم. مخصصاً في ذلك عدة صفحات من كتابه للجنوب الجزائري الذي تكلم عن مدنه وعلمائه وتاريخه السياسي وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية[6]. وإضافة إلى هؤلاء نجد الرحالة "الحاج بن الدين الأغواطي" برحلته الموسومة (رحلة الأغواطي في شمالي أفريقية والسودان والدرعية) التي تُرجمت إلى الانجليزية على يد قنصل أمريكا بالجزائر"وليام هدسن" سنة 1833م، وهي رحلة تحتوي على معلومات قيمة من النواحي الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والبشرية واللغوية عن ورقلة وتقرت ووادي سوف[7]. وتعتبر هذه عينة من الرحلات والكتابات التي تناولت الصحراء الجزائرية في العصر الحديث من خلال رحالة وجغرافيين عرب ومسلمين خاصة في العهد العثماني.

ب. الصحراء الجزائرية من خلال المنظور الأوربي الغربي:

[1]- للمزيد حول هؤلاء الرحالة المسلمين .ينظر، زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، شركة نوابغ الفكر، ط1، القاهرة، مصر، 2008م، ص. ص(34-54)، وكذا ص. ص(99-110).

[2]- بوسعد، المرجع السابق، ص 138.

[3]- الوزان ، المصدر السابق، ص 138.

[4]- للمزيد عن هذه الأماكن، ينظر، الوزان، نفسه، ص.ص(138-153).

[5]- للمزيد.ينظر، مولاي بلحميسي، **مدينة ورقلة في رحلة العياشي**، " مجلة الأصالة"، ع 41، جانفي 1977، الجزائر، ص .ص(60، 61).

[6]- بوسعد ، المرجع السابق، ص 434.

[7]- نفسه، ص 435.

لقد اهتم الأوربيون بالصحراء الكبرى منذ خروجهم من قارتهم مطلع العصر الحديث من خلال ما عُرف بالكشوف الجغرافية ثم التوسع الاستعماري في ما وراء البحار، فأراد بذلك كشف أسرارها والاستفادة من خيراتها فبدأ توافدهم على القارة الأفريقية منذ ذلك الحين وكانت أولى طلائع المغامرين والرحالة والبحارة إلى أفريقيا وصحراءها وانطلقت عمليات الكشف الجغرافي للصحراء الأفريقية خصوصاً وأن هذه الأخيرة ولقرون عديدة مجهولة لديهم إلا القليل مما قدمه الرحالة القدامى من الإغريق والرومان[1]، وما قدمه أيضاً العلماء المسلمين عن الصحراء مما سبق ذكره فالاهتمام الأوربي عموماً والفرنسي خصوصاً بالصحراء الجزائرية واكب حركة الكشوف رغم تأخر الفرنسيين عن غيرهم من الأوربيين في هذا المجال وقد كتب هؤلاء المغامرون الكثير عن الصحراء الجزائرية فنجد الرحالة الألماني" موريتس فاغنر" الذي زار الجزائر سنة 1838م يقول: «وكان حديث شيوخ القبائل التي تسكن القبلة والصحراء أحب هذه الأحاديث إلى نفسي تقريباً، فتلك المناطق لا تزال مجهولة عندنا نحن الأوربيين ولذلك كانت تبدو لي أدنى ملاحظة بمثابة أثر تذكاري، فكنت أسارع إلى تسجيل كل ما ذكره الشيوخ عن مدن الواحات وحياة سكان الصحراء»[2]. ونجد الفرنسيين أخذوا نصيبهم في الكتابة عنها ووصفوها بأوصاف مختلفة على غرار"ريني بوتيي"René potier الذي قال عنها: «إن الصحراء كما يطلق عليها إدارياً بالإقليم الجنوبي لفظ يطلق على منطقة شاسعة جداً وهي جغرافيا المنطقة المتصحرة التي تحزم الكرة الأرضية»[3]، كما وصف مهندس المناجم رولاند Rolland الجزء الشرقي منها بالأراضي المنخفضة قائلاً: «..أنها مسطحات أرضية طباشيرية..»[4]. ويقول عنها الرحالة "ألفرد بارودون" Alfred baraudon: «.. الصحراء بحصر المعنى هي ذلك الإقليم الشاسع الممتد من الجزائر وليبيا إلى السودان ومن الأطلنطي إلى مصر ربع الصحراء ونعني بالصحراء الجزائرية تلك القطعة الممتدة من توات وسهول تادمايت وتينقبرت من الجنوب»[5]، أما الكونت"لومبال" فيعبر عنها قائلاً: «تمنح الصحراء للناظر سلسلة من السهوب أو الأراضي القاحلة التي لا تصلح للزراعة..»، وعن تاريخ الصحراء كتب"ماكس مارشون" قائلاً: «.. يبدو بسيطاً إذا أخذنا بعين الاعتبار الموقع الجغرافي الذي يمكنها من التفتح عن تأثيرات الجنوب والشرق والغرب والشمال...»[6].

[1]-إيمان قرين، **السياسة الفرنسية في فصل الصحراء الجزائرية(1956/1962)**، مذكرة ماستر، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014م، ص7.

[2]- ميلود سرير وآخرون، **وحدة بحث بعنوان الواقع الأنثربولوجي للصحراء الجزائرية في استراتيجية المشاريع التوسعية الاستعمارية خلال القرن19-20م**، تقرير رقم6، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2009،ص21.

[3]-داوس ، المرجع السابق، ص 10.

[4] - R.Furon.p 141.

[5] - Alfred Baradon ,**Algérie et Tunisie Récit de Voyage et études**, librairie, paris, France, 1893,p190.

[6] -Le conte de Lambelle, **Illustrations D'Afrique**, tour Alfred Name et fils éditeurs, p10.□

إن الصحراء التي ظلت أرضاً مجهولة بالنسبة للغربيين عهوداً طويلة واستمرت كذلك حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وعقب الاحتلال الفرنسي للجزائر أين بدأ استكشاف هذه المنطقة[1] فيما بعد وتوالت حولها الكتابات الفرنسية التي كانت تخدم مصالح الفرنسيين من خلال حث الأوروبيين على زيارتها وهذا الأمر الذي صرح به" بوتي" قائلاً: «... إن الهدف من هذا المؤلف حث المسافرين على زيارة هذه البقعة التي تعتبر من أجمل بقاع العالم إن لم تكن الأجمل على الإطلاق»[2]، ويشاطره "بارودون" في هذا الرأي بقوله: «...تمتد الصحراء سهول أفريقيا ليست دائماً منبسطة، صقلية، ومن هذا العلو تبدو ذات تموجّات...الشمس تختفي وراء قمة حجر رملي أحمر...فتبدد أشعتها الموازية تقريباً للسهل تدريجياً...فتؤول الواحات الخضراء إلى اللون الأسود كما جزر..»[3]، أما الجاسوسة"إيزابيل إبرهاردت"[4] التي عشقت ليل الجزائر وفجرها فتصف جمال الصحراء بتعبيرها الذي تتحدث فيه عن عين الصفراء، الوادي، قمار...الخ لا بقاع أرحب وأروع من هذه البقاع، ماؤها، رملها، سماؤها، شمسها.كان كل شيء جميلاً وساحراً بالنسبة لها وهي القائلة: «..لقد مضى زمن طويل وأنا هنا، والبلد أخاذ إلى أبعد الحدود وبسيط إلى أبعد الحدود بتضاريسه ذات الرتابة المتوعدة ليكون هذا التعلق وهماً عابراً وجمالياً، بالتأكيد لا ! ما أسرني وسحرني أبداً إلى هذا الحد مكان آخر على الأرض كما فعلت الفضاءات الموحشة المتحركة للمحيط الكبير الناشف والتي من السهول الصخرية لقمار ومن منخفضات شط ملغيغ الملعونة تؤدي إلى صحاري سيناون وغدامس عديمة الماء..»[5] إن (ابرهاردت) اعتبرت الصحراء ملكية لها تحبها حباً جماً، كيف لا؟ وهي القائلة: «...نعم أحب صحرائي، وفي حب غامض، خفي عميق، يتعذر شرحه ولكن حقيقي خالص...[6]»، و قد تعدت في كتاباتها وصف الطبيعة الصحراوية وجمالها لتتحدث عن سكانها وخصوصاً المرأة الصحراوية التي وصفتها في أحد المشاهد قائلة: «كانت العجوزان ترتديان ملحفتين داكنتي الحمرة يشكل صوفها الكثيف ثنايا ثقيلة حول جسديهما الموميائي والتسريحة وفق عادات البلد بضفائر صوف أحمر وضفائر شعر شهباء...وفي أذنيهما المتعبتين حلقات ثقيلة بسُليسلات فضية مشبوكة في المناديل الحريرية للتسريحة...ومع كل حركة من حركاتهما ترن كل هذه الحلي والأساور والخلاخيل»[7]، إنّ المتتبع لكتابات الفرنسيين عن الصحراء الجزائرية يلاحظ مما لا يدعو للشك الاهتمام الكبير لهؤلاء الرحالة والباحثين والجغرافيين والجواسيس بكل تفاصيل المنطقة الطبيعية والبشرية وهو الأمر الذي يفسر مدى تمسكهم بصحراء الجزائر التي أعطوها عناية خاصة ولابد أن هناك أموراً كامنة وراء هذا الاهتمام بالصحراء وهو ما سنحاول الكشف عنه من خلال المعلومات الآتية.

---

[1]- Marchand Max**, Le Sahara**, édition la fouguve, 1957, p45. □

[2]- دواس، نفسه، ص 13

[3]- Baradon, p p(178,179)□

[4]- إيزابيل ابرها ردت:سنتطرق إلى تعريفها شخصياً في الفصل الثاني ومهامها الجاسوسية التي قامت بها.

[5]- دواس، المرجع السابق ، ص 15.

[6] - Eberhardt Isabelle**, Letters et Journaliers**, p206.

[7]- Eberhardt Isabelle**, Le Major**, document électronique.

3. الأهمية الإستراتيجية للصحراء الجزائرية:

مما لا شك فيه أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكن مجرد حملة تأديبية للداي حسين وفق زعم الفرنسيين، ذلك أن الأمر أبعد من ذلك ويكفي التأمل في تصريحات القادة الفرنسيين لمعرفة أطماعهم ونواياهم وخططهم وراء الحملة الفرنسية على الجزائر.ولا نجد تعبير أصدق يدل على ذلك تلك العبارة التي جاءت بها عبقرية"بيجو bejeot أحد غلاة الاستعمار والحاكم العام للجزائر سنة 1840م، عندما قال: «السيف في رقاب العرب والمحراث في يد المستعمر الفرنسي»[1] إن هذه العبارة تعبر بصدق على نوايا الحقيقية المسبقة للاحتلال الفرنسي أرض الجزائر وتكشف عن الوجه الخفي وراء الحملة العسكرية التي داهمت بها الجزائر، وهو الأمر الذي يؤكده"بريقوست برادول"بقوله: «...ليس علينا أن نجعل من الجزائر ميدانا لتدريب الجيش الفرنسي عسكرياً بل علينا أن نجعل منها أرض فرنسية يقطنها الفرنسيون يملكونها ويزرعونها ويتدبرون شؤونها».[2] إن مثل هذه التصريحات تستهدف الجزائر كأمة وكأرض دون تمييز أو تجزئة وهي تعبر عن الأهمية التي جاء من أجلها الغزاة إلى أرضنا كيف لا؟! وكل مشاريعهم وتحركاتهم كانت تهدف إلى:

- تدمير البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري وتفكيك الأسر والمجموعات القبلية.
- إجبار بعض القبائل على الهجرة إلى البلدان المجاورة واعتبار أراضيها أملاكاً شاغرة.
- إرغام سكان الأراضي الخصبة على النزوح إلى الجبال والاستيلاء على أراضيهم.

فكان بذلك الهدف الأساسي التي سعت من أجله وهو إحلال جماعات أوربية محل السكان الأصليين، ورغم إشراك الأراضي الجزائرية في هذه المسألة التي حلَّت بالوطن من خلال الغزو الفرنسي للجزائر إلا أن لكل منطقة أهميتها الخاصة بالنسبة لهؤلاء المحتلين. وهو الشأن نفسه بالنسبة لإقليم الصحراء الجزائرية التي اكتست أهمية خاصة لدى الفرنسيين الذين عملوا بكل إمكانياتهم من أجل السيطرة عليها ثم الاحتفاظ بها، ويمكن تحديد أهمية هذا الإقليم في المحاور التالية:

أ- أهمية الموقع الطبيعي للصحراء الجزائرية:

عملت القوات الفرنسية جاهدة من أجل السيطرة على الصحراء الجزائرية ذلك لمعرفتها المسبقة بأهمية هذا الإقليم والذي سعت من جعله همزة وصل وقاعدة أساسية لإرساء إمبراطورياتها الاستعمارية في قلب أفريقيا[3]، حيث لم تتوانى السلطات الفرنسية في تسخير كل إمكاناتها المادية والبشرية من أجل إتمام السيطرة على هذا الإقليم ومن أجل ربط الجزائر بمستعمراتها في الصحراء الكبرى(على غرار مالي، النيجر،

[1]- مسعود عثماني، **الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ص23.

[2]- نفسه، ص26.

[3]- إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص 155.

السنغال..الخ) وهو الأمر الذي عبَّر عنه النائب"إتيان" Etienne قائلاً: «.. إن الجزائر تُعد من الناحية التجارية أهم زبون بالنسبة لفرنسا (الوطن الأم)، بل هي محور سياسة فرنسا الأفريقية ...يجب أن لا تكون مصدر الثروة فحسب للوطن الفرنسي، بل يجب أن تكون قاعدة صلبة تعتمد عليها في سياسة نشطة للتوغل الفرنسي في كامل القارة الأفريقية...» ويواصل كلامه عن أهمية الصحراء فيقول: «... لقد تأخرنا في ربط هذه الفضاءات الشاسعة التي تفصل بين أنحاء الجزائر وكذلك بينها وبين السودان الفرنسي وبحيرة تشاد».[1] إنّ مثل هذه التصريحات توضح رغبة الفرنسيين في السيطرة على الصحراء من أجل ربط الجزائر بمستعمراتهم في أفريقيا، وكذا استغلال هذا الفضاء الشاسع الاستراتيجي للتسرب نحو أفريقيا من أجل مواجهة الوجود الانجليزي هناك، وهو الأمر الذي أكده " المركيز دي موريس"سنة 1896م[2].

ب- الأهمية الاقتصادية للصحراء الجزائرية:

إلى جانب الموقع الطبيعي الهام الذي يتوسط عدة دول أفريقية فإن الله تبَّارك و تعالى قد وهب صحراءنا شرايين مائية تنساب من مختلف جهاتها وهي بمثابة عروق الجسم الذي تضُخ فيه دماً وقلباً نابضاً بالحياة، ونلاحظ أنها تنساخُ من حيث جريانها ومنابعها من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي ومن قمم الهقار وتتباين مصَّباتها من الشطوط والسبخات، كما تغوص في الرمال وتغور إلى باطن الأرض لتخرج مجدداً في شكل مياه جوفية[3] ساعدت على الاستقرار البشري وانتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ربوع الصحراء الجزائرية هذا الانتعاش كان يرتكز على عدة ركائز منها: النشاط الفلاحي كالزراعة (عدد النخيل حوالي18.7 مليون نخلة بمساحة إجمالية فاقت 170.000 هكتار تنتج حوالي 1.8مليون قنطار[4]) وتربية الماشية (فحسب احصائيات عام 1875م كانت الصحراء الجزائرية تمتلك من الأغنام 13250رأس ومن الماعز 32080 ومن الأبقار198 ومن البغال 1163 ومن الحمير 230....[5]

والنشاط الصناعي والتجاري: كالمعادن: كالحديد الموجود في المنطقة الغربية[6] والفحم الحجري الموجود بكثرة في جهات الجنوب الغربي والزنك والرصاص والأنتيموان والرخام والملح...إلى جانب وجود معادن

---

[1]- نفسه، ص 159.

[2]- نفسه، ص87.

[3]- بوسعد ، المرجع السابق، ص 431.

[4]- المدني، المرجع السابق، ص 55.

[5]- للتوسع راجع: أندري نوشيه وآخرون، **الجزائر بين الماضي و الحاضر**، ترجمة، رابح إسطمبولي، منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984م، ص 404.

[6]- عريق ، المرجع السابق، ص 23.

الثمينة بما فيها الذهب الموجود في منجمي "تيراك" و"أمسماسة" كما تَّم إكتشاف اليورانيوم في مناجم الهقار[1]....

إن المتتبع لنشاط العلماء الفرنسيين في الصحراء يلاحظ مدى إهتمامهم بالثروات الطبيعية والمعدنية في مختلف المناطق الصحراوية ويستنتج من خلال عمليات البحث والكشف عن المعادن المسجلة في العديد من التقارير العلمية لعلماء الكيمياء الفرنسيين مدى أهمية التربة الصحراوية، والدليل على ذلك ما أورده "قوتيه"Gautier في كتابه "مهام في الصحراء" من تقارير وخرائط عن جنوب الجزائر الكبير وعن مميزات البحث عن المعادن التي قام بها العلماء الفرنسيين، فقد تحدث "قوتيه" في كتابه المذكور آنفاً وفي تقرير بعنوان "معادن وجواهر"minerai et bijoux على لسان عالم الكيمياء "بوهارد" m^e bouhard وهو خريج كلية العلوم بجامعة باريس الذي يقول: «قمت بتحليل عيَّنة من معدن النحاس من منطقة "تماقرون"tamagroun وهي عبارة عن صوَّان يحتوي3.77% من النحاس...كما قُمت بفحص عينات أخذت من "رجم عوان ظهره" rejem d'ouan tohra وقد عثر فيها على الحديد كما تَّم تحليل عينات أخذت من "رجم عين الصفراء" وعثر فيها على النحاس وفي آخر التقرير ذكر: «إن هذه العينات تسمح لنا ربما في يوم ما بتحقيق نتائج إيجابية في هذا المجال عندما يتم التعرف أكثر على المناطق الصحراوية...»[2] كما أن قوتيه أورد في كتابه مجموعة من الخرائط الجيولوجية للمنطقة و التي تحمل محاولات العلماء الفرنسيين إعطاء توزيع جيولوجي للمنطقة حسب الأبحاث التي توَصلوا إليها، بالإضافة إلى النشاطين السابقين هناك النشاط التجاري والصناعي فهذا الأخير يعتمد أساساً على الصناعات التقليدية كالحدادة وصناعة الأسلحة التقليدية والمجوهرات والصباغة والتجارة وصناعة الزرابي والبرانيس، وقد عبَّر نوشيه عن واقع الصناعة بالصحراء قائلاً: «...فلقد كانت الصناعات التقليدية منتشرة في القصور، في شوارع والأحياء الكثيرة كالحدادين وباعة الأسلحة من البرازنة وتُجار المصوغ من يهود البيض والصباغين خاصة المتواجدين هناك وبنفس هذه الحرفة من مناطق الشلاّلة وبوسعادة...»، وفي 1890م كان الميزاب من صُناع الزرابي[3]، أما عن النشاط التجاري: كانت الحركة التجارية نشطة عبر ربوع الصحراء المعروفة بطُرقها العابرة للصحراء والتي يقول عنها يحي بوعزيز: «النشاط التجاري كان منتشراً والطرق التجارية فاق عددها 15 طريقاً تجوب الصحراء الجزائرية وجزء من الصحراء الأفريقية..» وكان يخضع إلى تنظيم دقيق جدًا ويَدُر أرباحاً طائلة على أصحابه، وهو الأمر الذي دفع بالفرنسيين للتدخل من أجل الحَّد من هذا النشاط والسيطرة عليه واحتواءه وتحويل أرباحه إلى ما ينفع مصالحهم الاستعمارية.

[1]- بومهلة ، المرجع السابق، ص10.

[2] - EF.Gautier, **Missions Au Sahara**,(appendice 5)

[3]- عميراوي ، المرجع السابق، ص ص (120،121).

الفصل الثاني

النشاط الديني و العلمي
للاستعمار الفرنسي بإقليم
الصحراء الجزائرية

- الحملات التبشيرية
- البعثات العلمية للصحراء الجزائرية
- نشاط الجواسيس الفرنسيين بالصحراء الجزائرية

1. الحملات التبشيرية :

لقد صرَّحت العديد من الشخصيات العسكرية والدينية الفرنسية بأن احتلال الجزائر وحده لا يكفي بل ينبغي أن يُدعم بإدماج الجزائريين في مجتمع الفرنسي من ناحية وتنصيرهم من ناحية أخرى وإن كان القائد الفرنسي (دي بورمون) قد وعد في تصريحه يوم 5 جويلية 1830م بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر باحترام دين الجزائريين وعاداتهم، سرعان ما كشف الغطاء عن نواياه خاصة عندما استقبل المرشدين فقال: «قد فتحتم معنا من جديد باب المسيحية في أفريقيا ورجاءنا أن تزدهر فيها عما قريب»، والذي أفاد وبفضل جهود معلميه ومرشديه في معظم أقطار الجزائر أن يرفعوا عما قريب لواء الحضارة باسم الإنجيل، ولكن إذا عدنا إلى مراجعة مسيرة الاحتلال سنجد أن السلطة الزمنية والسلطة الدينية (الروحية) كانت غير محددة لدى الحكام الفرنسيين في الجزائر ولدى رجال الدولة في فرنسا الذين لهم علاقة بالشؤون الجزائرية، منذ تقرير العقيد (كليرمون تونيز) الذي قدمه إلى شارل العاشر لإقناعه بالموافقة على الحملة ضد الجزائر، كان الدافع الديني قوياً في أذهان الفرنسيين. فقد وعده بأن الجملة ستحقق انتصار الكنيسة الكاثوليكية على الإسلام، ومن يتأمل العبارات الواردة في التقرير وفي غيره يُدرك أن الروح التي سيطرت على الفرنسيين هي نفسها التي كانت تشحن إيزابيلا وفرديناند أثناء حروب الاسترداد في الأندلس ثلاثة قرون قبل ذلك[1]، ولذلك وجب علينا توضيح هذه النقطة (النزعة الدينية) الفرنسية على تنصير الجزائريين وبأخص سكان جنوبها الكبير، بداية نقول أن الحملات التبشيرية الفرنسية هي نتاج سنين مضت حاولت فرنسا من خلالها التوغل داخل البلاد وذلك بهدف السيطرة الفكرية والروحية والثقافية على سكان الصحراء.

أ. **التبشير المسيحي بالصحراء الجزائرية:** يرجع أمر التبشير[2] المسيحي ونشر الديانة المسيحية وخصوصاً منها الكاثوليكية في كل العالم إلى الفاتيكان حيث تخضع جميع الجمعيات التبشيرية الكاثوليكية لسلطة البابا في روما، الذي يقوم بالموافقة على نُظمها وقوانينها، وتعهد المهمة الإشراف على هذه الجمعيات إلى المصلحة المسماة الجمعية المقدَّسة لنشر الإيمان، وإذا أردنا الحديث عن نشأة الأسقفية في الجزائر فنجد أنه وإلى سنة 1838م كان العسكريون هم الذين يقومون بالشؤون العسكرية والدينية أيضاً. بحيث كان نشاطهم ما يزال منحصراً في تربية المهاجرين الجدد إلى الجزائر (وهدايتهم) روحياً. ويذكر سعد الله أنه من الناحية الإدارية لم يعلن الفرنسيون أن الجزائر من "ممتلكات" فرنسا إلا في سنة 1843م. ومع ذلك فإنهم ومنذ 1830م وهم يصادرون أملاك الأوقاف ويهدمون المساجد والزوايا ويهجرون علماء الدين... وكانت الحكومة الفرنسية تُفاوض الفاتيكان على فتح أسقفية لها في الجزائر، وقد أدَّت المفاوضات إلى تعيين السيد (أنطوان دوبوش) أسقفاً

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج6 (1830/1954م)**، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص106.

[2] – للتوسع يُنظر، عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة وحوافيها (الاستعمار، التبشير، الاستشراق)**، دار القلم، ط8، دمشق، 2000م، ص53.

في الجزائر سنة 1838م. ووجد دوبوش قبله سبعة قساوسة منهم أربعة في العاصمة، واثنان في عنابه وواحد في وهران.

والذي ساعد المبشرون الذين جاءوا إلى الجزائر من خلال هذه الحملة عوامل عديدة ساهمت بشكل أو بآخر في إنجاح مهامهم التبشيرية مثل: استغلال الخصوصيات العرقية للشعب الجزائري وامتلاك أدوات الاتصال مع الجزائريين من خلال حالات الفقر والبؤس والمجاعة التي كانت سائدة أوساط الجزائريين مع قوة الوسائل المادية التي كانت بحوزة المبشرين[1]، ومتعددة لتحقيق أهدافهم التنصيرية و لم يسلَّم من أعمالهم التمسيحية أين ما حَّلوا أيَّ فرد من المجتمع الجزائري، فقد اهتموا بالكبار وقربوا إليهم الفقراء مثلما تقربوا من الأغنياء واعتنوا بالمرأة وشؤونها كما اهتموا بالرجل وأعماله وتبادلوا الحديث مع الأمي البسيط كما جادلوا المثقف ورجل الدين، فقد انتحل المبشرون أدوار الشخصيات عديدة منهم الطبيب والمعلم والكاتب وساعي البريد والحاكم والحامي[2]، حيث كان يقول أحد مبشريهم: «...عندما نربح ثقة الشعوب بواسطة الأعمال الخيرية وتعليم الأطفال فإن كل شيء سيكون على ما يرام اليوم الموعود كالثمرة الناضجة تسقط وحدها بدون أيَّة هزة من الإنسان أو غيره لكي يهب نفسه إلينا.».[3] و كانت غايتها النفوذ خلال الصحراء أو السودان عن طريق عين صالح ونشر المسيحية في وسط أفريقيا بين الأقوام الذين يعبدون الأصنام، وفي عام 1878م أوصت الإدارة الفرنسية بأن يكون طريق المبشرين الآخرين ورقلة جنوب الجزائر ومحاولة التقرب من الطوارق سكان الصحراء[4] وذلك أنهم هم من يُسيطرون على إقليم الجنوب ككل واستمالتهم ستخدم الإدارة الفرنسية عن طريق مختلف الجمعيات التي توافدت على الجزائر بعد الاحتلال والتي كانت تستمد قوتها من الفاتيكان والسلطة المنضوية تحت لواءها معاً على مدى 61 سنة(1830-1891م) بعدد كبير وهائل من الجمعيات أغلبها كاثوليكية وبروتستانتية منها الجمعيات النسائية ومنها الرجالية.

ومن أهمها جمعية أخوات (القديس فانسان دي بول) أو (بنات الإحسان) حيث أدَرنَّ شؤون التعليم العمومي[5]، وقاموا بإنشاء مدرسة في الأغواط(وهي تعتبر أول مدرسة في الجنوب) كانت بداياتها تستقطب الأيتام ثم مع مرور الوقت أصبحت مدرسة لتعليم أبجديات التمسيح الفرنسي، وعممت هذه الأخيرة على كافة المناطق الجنوبية منها: ورقلة في سنة 1873م، تقرت سنة 1878م، المنيعة سنة 1880م، البيض سنة

[1]- محمد الطاهر وعلي، **التعليم التبشيري في الجزائر(1830-1904م)دراسة تاريخية تحليلية**، منشورات دحلب، الجزائر، 2009م، ص220.

[2]- نفسه، ص80.

[3]- نفسه،ص 99.

[4]- إبراهيم العيد بشَّي، **دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي**، "مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية "، ع11، جوان 2013م، الجزائر، ص34.

[5]- وعلي، نفسه، ص36.

1890م[1]. وكان قبل ذلك قد صدر مرسوم في 16أفريل 1853م ينص على إنشاء مدارس عُرفت باسم مدارس الكاتشيَّة[2] ذات التوجه المسيحي هدفها العمل على تمسيح الأهالي، ويعتبر هذا المرسوم بداية لأول عمل رسمي للنشاط التبشيري عبر التراب الجزائري كما أنه إكمال لمشوار الاحتلال بأسلوب آخر فقد جاء على لسان الجنرال لموريسيار: «لقد قام البارود والحرية ما عليهما من واجبات. الآن جاء دور المسيحية لتُكمل المشوار الذي بدأناه». ولقيت الكنيسة كل المساعدات المادية والمعنوية من طرف الضُباط العسكريين وهذا يدل على تكامل سياسة القهر والبطش وسياسة التبشير والتمسيح فهما صورتان لعُملة واحدة وجه يحمل البارود والحرية ووجه يحمل الكنيسة والمدرسة[3].

ب. **نشاط الكاردينال لافيجري[4] التنصيري بالصحراء الجزائرية:** أدرج لافيجري في خضم نشاطه التبشيري بالجزائر مخططاً تفصيلياً لتوسيع دائرة نشاطه من الجزائر- خاصة بعد تّمكن من تحقيق تجربته الاستيطانية بواسطة القرى العربية المسيحية بسهول الشلف[5] صّوب الصحراء فوصولاً إلى أفريقيا السوداء والجزائر في نظره باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يعيش فيه أكثر من مليونان من الأنفس تنتظر الهداية والرشاد المسيحي انطلاقاً من ذلك، فإن المسألة تأمين الصحراء وتهدئتها لفتح الطريق أمام المبشرين الذين يقصدون أفريقيا السوداء حيث هذه الأخير تعتبر من الأهداف الأساسية التي تعاونت الكنيسة والسلطة معاً تعاوناً وثيقاً[6]، و لقد اتضحت مرامي لافيجري الهادفة إلى تمسيح الصحراء منذ تعيينه مندوباً رسولياً للصحراء في 2 أوت 1868م حيث كتب إلى جمعية الدعاية المسيحية ونشر الإسلام يشرح فيه أن حملته التبشيرية بالجزائر موَجهة إلى استرجاع النفوذ المسيحي الفرنسي الروماني قديماً بالمنطقة وهو الأمر الذي

---

[1]- علالي محمود، **الحركة الإصلاحية في الأغواط**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م، ص 77.

[2]- **الكاتشيّة**: تعليم ديني ابتدائي مُقدم خاصة إلى الأطفال إذ قال أحد المبشيرين الملقنين لهذا النمط من التعليم .إذا حدث أن مات كل القساوسة فإن المسيحية ستبقى حية بواسطة هؤلاء...للمزيد.يُنظر، وعلي، المرجع السابق، ص 73.

[3]- علالي ، نفسه،ص ص(76،77).

[4]- **لافيجري (شارل مارسيل)** ألمان وُلد سنة 1825م ببايون، كاردينال فرنسي التحق بمعهد الدعاية التبشيرية بسان لويس بباريس، يُعتبر لافيجري عالم اللاهوت والآداب وفن الكتابة حيث كان أستاذ تاريخ بجامعة السربون بباريس في ما بين 1854 و1856م وشارك في توزيع المساعدات على النصارى أثناء أحداث سورية 1860م عن طريق التعليم التبشيري. ثم احتل خطة أسقف بمدينة نانسي الفرنسية سنة 1863م، لعب دوراً طلائعياً في تثبيت ركائزه التبشيرية والجاسوسية بالجزائر على مدى 25 سنة من 1867م إلى غاية 1892م- وهو تاريخ وفاته-، ووصل إليها أثناء المجاعة المشهورة التي حلّت بها ووجد أسقفية الجزائر (الارشيفيشي) تضم 83 فرعاً فيها 104 من دعاة التنصير، ويعتبر أول من دشَّن العمل التبشيري بكاتدرائية السيدة الأفريقية الجاثمة على أرض الجزائر. من مؤلفاته نذكر: آثار مختارة في جزأين Œuvres choisies:Deux tomos والجيش ومهمة فرنسا بأفريقيا .L'armée et la mission de la France en Afrique. للتوسع يراجع: - سعيدي مزيان، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر(1867-1892م)**، دار الشروق للطباعة و النشر،ط1، الجزائر، 2009م،ص.ص (18-21) - سعد الله، المرجع السابق، ص 121- سعيدي مزيان، نفسه، ص ص(18-21).

[5]- Manugn(E**), Notes sur l'histoire de l'aguouat,** in revue Africaine, n°37,année 1893,p 360.

[6]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 110.

يعُد واجباً لا يمكن التفريط فيه لذلك كان لزاماً عليه أن يبعث ثلاثة من الأخوات البيض[1] نحو الأغواط للتعرف على طبيعة المنطقة وكان ذلك في ديسمبر من عام 1870م وأردفت الحملة بإرسال أثنين من الآباء اليسوعيين وهما الأبوان روشي rocher وأوليفي olivier،و رسم الأهداف الأولية الكامنة أساساً في ضمان الممارسة الدينية المسيحية وتحضير انتصاب مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى، وبعد أن أسّس للآباء مراكز بالصحراء عمل هؤلاء رفقة الأخوان البيض اللائي جئنَّ بعدهم على بث سموم التبشير باستعمال نفس الوسائل المستعملة بمنطقة القبائل. ففي غرداية فتح الآباء مدرسة تكوينية لتعليم الشباب صناعة الجلود، وبورقلة فتحت الأخوات مركزاً تكوينياً لتعليم البنات الطرز وفي الجلفة فتحوا مصنعاً للحلفاء وورشة لصناعة السلال والقفف ولم يهمل الآباء والأخوات البيض العمل الزراعي لذلك أسسوا ملجأ للأيتام بالمنيعة خاص بالفلاحة الصحراوية (الواحات) وحُفرت بئر ارتوازية سمحت للماء بالتدفق وتكوين بركة مائية جعلت الأب مارشال يجلب الأسماك لتربيتها سنة 1892م، وكان لجمعية مبشري الأخوات فرع مسلح يدعى جمعية إخوان الصحراء المسلحين جاء هدفها كذلك تنصير الشعب الجزائري ونشر تعاليم الإنجيل، وهي أوضح دليل على أن الاستعمار والتبشير وجهان لعملة واحدة هي استغلال الشعوب مادياً وروحياً. وقَّدم لافيجري عُقب تأسيسه لهذه الجمعيات تقرير لقائد حامية قسنطينة موجه إلى حاكم العام كامبون cambon يقول فيه: «لا يمكننا إلاَّ أن نقدم عرفاننا للشعور الوطني الذي أدى إلى إنشاء جمعية إخوان الصحراء. لقد كان لافيجري يرمي من وراء تأسيسها إلى إعطاء الأولوية لحركة توسع فرنسا في الصحراء الوسطى وإشراك القوات التي بحوزته في ذلك وبالنسبة لفرنسا سواء تعلق الأمر باحتلال سلمي لهذه الأراضي أو غزو بالقوة فإن مساعدة إخوان الصحراء يمكن أن يستخدم في كلا الحالتين..»[2].

ت. **نشاط دي فوكو[3] التنصيري بالصحراء الجزائرية:** مما لاشك فيه أن مهمة الأب دي فوكو خلال تواجده في الجزائر هي استمرارية مشروع الكاردينال لافيجري التبشيري الذي بدأه في منتصف القرن

---

[1] – **الأخوات البيض**:les seours blanches كان أول من تطّوع في هذه الفرقة الجديدة ثلاثة من رجال الدين بالمدرسة الإكليركية بالقبة وقد نصحهم بذلك الأب جيرارد من فرقة اليسوعيين .حيث وجّه لافيجري يوم 10 ماي 1869م نداء إلى كل المدارس الإكليركية بفرنسا يحثها على الانضمام إلى هذه الفرقة و الوقوف أمام تقدم الإسلام المخيف وقد وضع لها ثلاث قواعد حيث أصبحت تعتمد عليها فيما بعد...و أن يكون شعارها المحبة و التكتل لتحقيق الأهداف التبشيرية وذلك بتأسيس عدة مراكز تبشيرية في منطقة القبائل الكبرى و الصحراء...للمزيد. يُنظر، خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830–1871م)**، دار حلب، سوريا، د.ت، ص ص(128–130).

[2] – الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 50.

[3] – **القديس شارل دي فوكو**: ولد في 1858م بستراسبورغ الفرنسية تخرج من كلية سان سير العسكرية، مارس وظيفته كضابط في كل من saumm وpont à mousson في الاستعلامات الفرنسية. يعتبر عالم أثنر بولوجي يعرف فنون اللإستيلاب والتمسيح والمسخ. ثم تحول بعد ذلك إلى الجزائر للعمل في صفوف الجيش الفرنسي وبسبب سلوكه وضجته الليلي طرد من الجيش. وفي 9 جوان 1905م عُين قساً وإختار العيش في الصحراء الجزائرية وبالضبط في بني عباس قرب الحدود المغربية. زيادة عن الراهبات اللواتي بُعثت للإسكان مع الرُحَل بجبال القصور، عين الصفراء، البيض، الأبيض سيدي الشيخ، توات....الخ. للتوسع يراجع: – عبد السلام بوشارب، **الهقار أمجاد و أنجاد**، (منشورات المتحف الوطني

التاسع عشر ميلادي بالجزائر، ولعل ما يوضح مضمون الرسالة الشهيرة التي بعث بها إلى رهبان الجزائر والتي يقول فيها:.«إنني سميت لتحقيق الفتح معكم ولجعل الأرض الجزائرية مهداً لأمة عظيمة سخية مسيحية فرنسا أخرى وفي كلمة واحدة: نشر من حولنا الأنوار الحقيقية يكون فيها الإنجيل المنبع والقانون وحمل هذه الأنوار إلى ما وراء الصحراء إلى قلب هذه القارة الكبرى السابحة في الوحشية ذلك هو المصير الذي اختاره لنا الإله..»[1]، وإذا أردنا تحليل قول دي فوكو نجده يطابق عبارات الكاردينال لافيجري في بدايات مهمته التبشيرية في الجزائر، فقد كان لهما ومن أمثالهم هدف واحد وغاية مشتركة هي إخراج سكان القارة الأفريقية من الوحشية والعبودية إلى نور المسيحية وبالرجوع إلى خلفية الاستعمار الفرنسي على الجزائر فنجد أعذاره تنصب في جملة واحدة أنهم جاءوا من أجل نشر الحضارة الفرنسية التبشيرية منذ توقيع معاهدة الاستسلام 1830م، باعتبار الجزائر بوابة أفريقيا.

لقد كانت لدى فوكو معلومات دقيقة حول البنية الاجتماعية والثقافية لسكان الصحراء وقد أتى إلى الجزائر وهو يحمل في نفسه شعلة متأججة من الإيمان الروحاني والدنيوي، وصف أحد الباحثين دي فوكو بأنه كان يجد اللذة في المتاعب والتضحية بالراحة ومُتع الحياة خصوصاً إذا علمنا وأن حياة الرجل كلها أسفار ومتاعب ومخاطر إذ بدأها برحلة إلى المغرب الأقصى سنتي 1883م و1884م خلال هذه الفترة استطاع أن يجمع معلومات كافية جعلت من رحلته هذه دليلاً قيماً ومرجعية أساسية أفاد بها قواد الجيش الفرنسي بعد نصف قرن، بحيث كانت رحلاته ظاهرها استكشاف علمي وباطنها جمع المعلومات للتوسع الفرنسي بالصحراء ،كما قام دي فوكو برحلة إلى الصحراء الجزائرية أيضاً كانت تحت غطاء الاستكشاف ونزل في ضيافة العديد من سكان المنطقة الواحات وتعرف عن قُرب ووقف عند أسوار وخبايا المنطقة الصحراوية من جوانبها الطبيعية والبشرية وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، وربط صلته بسكان منطقة الأغواط ثم غرداية ومنها توجَّه إلى مدينة المنيعة وورقلة وتقرت وتعتبر هذه الأخيرة المدن الهامة التي كانت محط أنظار التوسع الفرنسي وقتئذٍ[2]. ومنذ دخوله الهقار سنة 1905م بدأ في بناء كنسية بمنطقة أسكرام[3] شمال تمنراست وهي تقع على ارتفاع 2700م على مستوى سطح البحر وجعلها نواة لنشر مبادئه المسيحية، والظاهر أن دي فوكو لم يجد الصعوبات القاسية التي كانت منتظرة في تعامله معهم وإندماجه مع السكان عكس ما اصطدم به القادة

للمجاهد)، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر، رويبة، الجزائر، 1995م، ص .ص(110،111)- المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية**، سلسلة ملتقيات، الجزائر، ص 252.

[1]- أحمد مريوش، **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار**، "مجلة المصادر" ع 11، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، السداسي الأول 2005م، الجزائر، ص 132.

[2]- مريوش، نفسه، ص133.

[3]- **أسكرام**: يبعد عن مدينة تمنراست ب80كم وترتفع بحوالي 2800 م عن سطح البحر وتصل درجة الحرارة إلى 12 تحت الصفر في أوقات من السنة.

العسكريون الذي أهَّله للعمل في قضايا الاستخبارات العسكرية أولاً ثم نشأته التبشيرية حيث قضى معهم معظم أوقاته في التقرب من الطوارق وتعلَّم منهم اللهجة التارقية فأنجز مُعجماً من الفرنسية إلى التارقية، ومن التارقية إلى الفرنسية في أربع مجلدات[1]، و قد ارتكزت محاور فلسفة فوكو التنصيرية الاستيطانية في البنود التالية:

- محاربة اللغة العربية ومحاولة طمسها في الهقار لأنها هي الوسيلة لفهم تعاليم الدين الإسلامي مع إحلال الفرنسية محلُها.
- محاربة بناء المساجد والزوايا.
- تقديم الهدايا للمواطنين لاستمالتهم وكسب تعاطفهم.
- جلب اهتمام كبار العسكريين الفرنسيين وإغرائهم بخيرات الصحراء الغنية بثرواتها حتى يميلوا إليها ويساعدوها على نشر مبادئه[2].
- محاولة جعل من أبناء الطوارق الدرع الواقي والمدافع عن المصلحة الفرنسية وذلك بعد ما يُلقنهم أصول الديانة المسيحية وفق المنظومة الاستعمارية وذلك واضح من خلال قوله: «..الطفل هو المستقبل...وبعد عشر سنوات سيكبر أطفال القبيلة وينمو معهم الولاء لأفكارنا...».

و لتحقيق ذلك قام دي فوكو باختطاف طفل من بني عباس- المنطقة التي أتخذها مأوى للتعبَّد- ليُنشئه على الديانة المسيحية وأطلق عليه بول مارابول، وما إن بلغ سن الرشد ووعى ما يُحاك حوله حتى تمرد على الراهب دي فوكو المتبنيه وانفصل عنه وغيَّر اسمه إلى مبارك مرابط لينضم لإخوانه الطوارق ويعيش معهم[3]، وفي سنة 1907م حلَّت المجاعة بتمنراست فأستغل دي فوكو الوضع لكسب ود السكان فكان يُوزع بنفسه ما كان يدخره من قمح وشعير على أهالي المنطقة وأصبح بذلك مُستحب من طرف النساء والأطفال واحترام الكبار[4]، لكن هدفه الخفي من ذلك هو التبشير والتمسيح، وفي سنة 1916م كان هجوم السنوسية[5] قوياً ضد القوات الفرنسية المتمركزة في جانت وانتهت بقتل دي فوكو وذلك بعدما أصبحت نشاطاته مشبوهة، ومن الأسباب التي أدت إلى قتله رغم اختلاف التاريخي للمؤرخين في تلك الاعتداءات والأسباب إلاَّ أنه يؤكد أحد الباحثين أنه من نفذ عملية اغتياله ثوار قد اقتحموا البرج للبحث عن السلاح فوجدوه في البرج يتعبد فلم

[1]- عميراوي، المرجع السابق، ص 113.

[2]- بوشارب، المرجع السابق، ص122.

[3]- قرين، المرجع السابق، ص. ص (22،23)

[4]- عميراوي، نفسه، ص 124.

[5] ستكلم عنها في الفصل الخامس بالتفصيل.

ينتبه لوجودهم فكبلوه وكلفوا الشاب الذي معهم بحراسته وأمام مقاومة دي فوكو لفك وثاقه أطلق عليه الحارس النار فأراده قتيلاً ولا تزال آثار الرصاص ظاهرة على جدار البرج إلى الآن[1].

وبعد مقتله واصلت مجموعة من الأخوة الزرق التي خلفها فوكو نشاطها في ملجأ أسكرام لأهمية الموقع الإستراتيجي، كونه في قلب منطقة جبلية تطل على الهقار ككل حيث يتمكن من موقعه مراقبة كل تحركات الطوارق وأظهرت التطورات التحالف القائم بين هذه المجموعة البشرية والقوات الفرنسية والتنسيق الجيد بينهما وبين كتيبة المهاري التابعة للجيش الفرنسي[2]، ومن هنا نلاحظ أن فرنسا قدمت كل التسهيلات والإمكانيات لإدراج مبشرين يقومون بمهام تنصيرية في الجزائر بعد أن خابت جهودهم التبشيرية في سوريا ولبنان، ويعتبر هؤلاء المبشرين في نظر فرنسا هم وسيلة كبرى من وسائل تحقيق أطماعها الاستعمارية التوسعية التي تبنتها منذ الوهلة الأولى في فرض هيمنتها العسكرية ومشروع الاحتلال، وهو ما أبانت عنه المساومات الرهيبة التي أعتنقها ديغول فيما بعد في سعيه لفصل الصحراء عن الجزائر أو بالأحرى فصل الشمال عن الجنوب.

2. البعثات العلمية للصحراء الجزائرية:

قد يُخطأ الكثير حينما يظن أن الظاهرة الاستعمارية هي احتلال عسكري فقط، بل في حقيقة الأمر عبارة عن مشروع متعدد الجوانب ومختلف الوسائل ومُحدّد الأهداف. ومن ثم تعد مراحل الغزو والتوسع والاستيطان بمثلبة مراحل متأخرة من تطبيق المشروع الاستعماري، لأن عمليات التجسس والكشوف والاستطلاع والدراسة كلها مراحل هامة في مجرى إنجاح عملية الاحتلال وتحقيق رهانات النجاح. ومن أمثلة ذلك ما قاموا به بعض العلماء والدارسين الفرنسيين في رحلات استكشافية وإبراز ما هو وراء الغيبيات والتي أطلق عليها البعثات العلمية الاستطلاعية، وهنا تكون إشارتنا العلمية والبحثية على الصحراء التي كانت تعتبر في نظر الفرنسيين مسالك ومعابر نحو الاستفادة من خيراتها وكسب التنافس مع الدول الأوربية الكبرى ومعرفة المجهول.

أ. **دوافع المستكشفين والرحالة الفرنسيين:** تمحورت اهتمامات الفرنسيين الاستطلاعية بالصحراء في محورين مهمين:

- **المحور الأول**: وهو الهدف الأساسي لهم، ويتمثل في الغزو والتوسع الاستعماري الذي اعتادوا على نعته بالاستكشاف والتعرف على المحيط الواسع من الرمال بواحاته الخضراء المتناثرة هنا وهناك، من أجل

[1]– قرين، نفسه، ص .ص (23،24).

[2]– محمد مبارك كديدة، **الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية**، دار المعرفة، الجزائر، 2013م، ص 28.

استغلال إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية، واستكشاف المظاهر الجغرافية التضاريسية والمناخية والطاقة المائية والجوفية (والتي أشرنا إليها في الفصل الأول)، مع دراسة المجموعات السكانية وعاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري وأوضاعها الثقافية.□

- **المحور الثاني**: برز كنتيجة للاهتمام الأول ولخدمته وتدعيمه ويتمثل في محاولة وضع شبكة مختلفة الأشكال لربط تنقل القوات العسكرية والمغامرين في مختلف المناطق الصحراوية.مثل: طرق المواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف ...الخ[1].

وإذا أردنا البحث بصفة شاملة عن دوافع المستكشفين نجد أنها تختلف دواعي الرحلات باختلاف أصحابها والجهات التي تقف من وراءها. فمن بين الرحالين من كانت تدفعه المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب والخروج عن المألوف، ومنهم من كان بحركة البحث عن مصادر الثروة والمال وينفعه السعي لتحصيل المكاسب المادية من وراء المتاجرة . ومنهم من كانت له دوافع دينية واضعاُ على عاتقه مهمة التبشير- وهذا ما رأيناه عند المبشر دي فوكو- بعقيدته عبر المزيد من البقاع المكتشفة، ومنهم من تغريه نزعة سياسة استعمارية فيسعى إلى ارتياد مناطق جديدة وخدمة لتجارة بلده أو سعياً إلى جمع معلومات المختلفة عن المناطق تمهيداً للسيطرة عليها وإخضاعها[2].(وهنا محل دراستنا الأكاديمية)، ومن بين المستكشفين والرحالين رجال علم ودين وطوافين نتيجة النزعة الدينية -التي ذكرناها آنفاً- من هواة الأسفار والارتحال دفعتهم المخاطر ساعين على إماطة اللثام عن أحوال السكان والبلدان[3]. وتنطبق هذه الأهداف العامة عن المستكشفين الأوربيين الذين تركزت معهم مجهوداتهم في القرن 19م على القارة الأفريقية انطلاقاً من محور اهتمامات مختلفة كالفضول العلمي والتبشير الديني ومكافحة العبودية والغزو والاستعمار.□

ب. **أهم البعثات العلمية الفرنسية بالصحراء الجزائرية:** قامت عبر حوالي خمسين سنة بعثة علمية لعدة رجال فرنسيين بأدلاء جزائريين[4]، لاكتشاف الصحراء ومنها إلى أفريقيا، والعلماء الفرنسيون مدنيين أو عسكريين كانوا مُسلحين بالعلم واللغة وحب المعرفة والإخلاص لوطنهم وكذلك بحب السيطرة والاستعمار وكانوا يستعملون نفوذهم المادي والمعنوي والسياسي عن طريق إدارتهم لتسخير الجزائريين، وليكونوا أدلاء ومساعدين لتحقيق أغراضهم والاستفادة منها في التقدم نحو أفريقية والسيطرة على الصحراء. ويشير أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أن البعثات العلمية لم تكن نحو الصحراء وأفريقية فقط، ولكن أيضاً نحو

[1]- يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص ص(64،65).

[2]- سرير، المرجع السابق، ص15.

[3]- بن محمد ن، **الرحلات الإستكشافية في الصحراء الكبرى**، "مجلة العلوم الإنسانية"، ع20، ديسمبر 2003م، الجزائر، ص158.

[4]- اعترف دوفيريه بالفضل للشيخ محمد العيد شيخ زاوية تماسين التيجانية وكذلك للشيخ عثمان التارقي، واعترف أطانو سنة 1894م بالفضل للشيخ محمد العروسي شيخ ومقدم زاوية قمار التيجانية في إنجاح مهمته في الهقار وقال أنه لا يحتاج إلى برهان عن إخلاص الشيخ العروسي لفرنسا...للمزيد. يُنظر، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج6 ،المرجع السابق، ص 102.

تونس والمغرب والسنغال ومصر. الهدف منها معرفة العادات والتقاليد والاتصال مع النفوذ الفرنسي في هذه المناطق.[1]

ومن البعثات والرحلات الاستكشافية التي مهَدت للاستعمار الفرنسي والتوغل في منطقة الطوارق والهقار بعد إجهاض أغلب المقاومات الشعبية في الشمال:

v رحلة هنري دوفيري Henri Duveyrier: قام بها إلى بلاد الطوارق الشماليين فدرس منطقتهم التي يسكنوها، من حيث التضاريس، مصادر المياه، واستعرض قبائلهم المختلفة، وإنتاجهم الفلاحي وتاريخهم السياسي وعاداتهم ومركز ممتلكاتهم القديمة ودامت رحلته من 1859م إلى غاية 1862م. ومنحته الجمعية الجغرافية ميدالية ذهبية على أعماله هذه[2].

v بعثة فلامون إلى عين صالح: انطلق في خريف 1899م وأخذت طابعاً علمياً لاستكشاف منطقة تادمايت والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية وإمكانيات مياهها الجوفية وغيرها غير أنه في الأخير تحولت إلى حملة عسكرية شرسة، وأشرفت عليها وزارة المعارف العمومية والمستعمرات على هذه الرحلة ودعمتها الحكومة الفرنسية بميزانية خاصة كما أنها أعطت أوامر للنقيب "بان" الموجود بورقلة بأن يحمي هذه البعثة على رأس فرقة متكونة من 25 فارساً. وفي 9 ديسمبر من نفس السنة وصلت البعثة إلى حاسي سوقي، ويوم 18 وصلت إلى حاسي مسقم ومنه إلى رق أجمار ووادي ماسين، أما يوم 26 من ديسمبر فقد وصلت البعثة إلى قوقارات ومن الغد التحقت بواحة القوسن[3].

v رحلة إلى غات[4] لإسماعيل بوضربة[5]: كلفه بها الحاكم العام راندون، لجمع الأخبار عن أحوال الصحراء وأثناء النشاط الذي كانت تقوم به الحركة السنوسية في الجنوب، إلاَّ أنه غامر بوضربة إلى أن وصل إلى غات عبر مراحل صحراوية . وكانت رحلته تمهيداً لرحلة هنري دوفيري [6].وقد أورد تفاصيل كثيرة عن بلاد الطوارق وتحدث عن الاستكشافات التي أنجزها من الأغواط إلى غات وعن نقاط المياه وحالة الأراضي التي مر بها من الناحية الاقتصادية للصحراء الجزائرية[7].

---

[1]- نفسه، ص ص (102،103).

[2]- بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص94.

[3]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية..، المرجع السابق، ص ص(228،229).

[4]- **غات**: مدينة تقع في صحراء ليبيا الغربية على مشارف الحدود الليبية الجزائرية وأصل سكانها من الطوارق يشتركون مع طوارق الجزائر في الأرض و اللهجة التارقية...للمزيد.يُنظر، محمد الحجاج، **نمو المدن الصغيرة في ليبيا**، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2008م، ص120.

[5]- **إسماعيل بوضربة**: هو ابن أحمد بوضربة من زوجته الفرنسية، سجله أبوه للدراسة في المدارس الفرنسية خلال الثلاثينيات من القرن الماضي...للمزيد. يُنظر، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج7**، ص461.

[6]- نفسه، ص ص (461،462).

[7] - I.Bouderba, **Voyage à Ghat (du 1er aout au 1er décembre)**, Bul Scc.G.paris, 1860, pp145-190.

V رحلة فيرديناند فورو: كان من الضباط العسكريين الذين قاموا برحلات إلى الجنوب عددها تسعة، اخترق خلالها الصحراء الكبرى طولاً وعرضاً مع الضابط لامي ووضع عدة دراسات عن رحلاته، فاهتم بالطوارق ومنطقة الهقار تحدث عن الطرق الثلاثة التي تعَرف عليها و لم تكن معروفة ومطروقة قبل ذلك من عين الطيبة إلى حاسي مويلح ومات الله وزاوية تيماسين وحاسي ايمولاي وحاسي تويزة . وبتكليف من الحاكم العام قام فورو بتخطيط طريق من المنيعة إلى عين صالح وعين القنارا وتاسيلي أزجير ودرس هيئة الأرض ومقاساتها والظروف المناخية والفلكية. وذلك خلال عامي 1894، و1895م[1].□

V بعثة الكلونيل فلاترز: تعتبر من أهم البعثات الفرنسية إلى جنوب الجزائر ويمكن تقسيم هذه البعثة إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: اعتمدت رسمياً في ديسمبر 1879م وكانت البعثة تضم عشرة أعضاء من بينهم: □
- فلاترز عقيد المشاة والقائد الأعلى للأغواط.□
- موسون نقيب أركان الحرب.□
- برانجر مهندس الجسور والطرقات.□

وكانت في خط سير من ورقلة إلى الأغواط[2]. ولخصت اللجنة مشروعها في فتح منافذ جديدة للتوغل في قلب الصحراء ويتمثل ذلك في مد خط سكة حديد يربط بين قسنطينة وورقلة ومنه إلى أقصى الجنوب أين تقيم قبائل الطوارق. والظاهر أن رحلة فلاترز غلب عليها الطابع الاستكشافي العلمي والسلمي دون أن تُكشف عن أبعادها الحقيقية إذ تجول أفراد البعثة في العديد من أحياء غرداية وسجلوا بها معلومات الكافية. وبعد أن جمع الكلونيل فلاترز المعلومات الكافية حول خفايا الصحراء، رجع إلى باريس وقدم تقريره واقتراحاتهم فتقرر تكليفه مرة أخرى[3].

- المرحلة الثانية: وجاءت هذه البعثة الاستكشافية الجديدة للمرة الثانية في 28 جوان 1880م في اجتماع ثاني للمفوضية العليا التابعة لوزارة الأشغال العمومية حيث اعتمدت مقترحات فلاترز وقررت أن تتجه البعثة الثانية أكثر إلى الوسط من الأولى وبإدراج أمقيد والهقار في خط سيرها، ومما يلاحظ عليه أن البعثة الثانية كانت أكثر عسكرية إذ ضمت أحدى عشر فرنسياً (عشرة عسكريين ومهندس مدني واحد) وانضم إليهم 85 شخص من السكان الأصليين 47 من المشاة و31 من المدنيين العرب و7 خبراء في المسالك الصحراوية بالإضافة إلى مقدم التيجانية، حيث كان خط سيرها من ورقلة إلى غاية سبخة أمقادور مدخل بلاد السودان وبعدها إلى منطقة تماسين. لكن هذه البعثة كُللت بالفشل حيث اصطدمت بالطوارق الموجودين هناك

[1]- بوعزيز، **مع تاريخ**... المرجع السابق، ص 96.

[2]- المركز الوطني للدراسات و البحث...، المرجع السابق، ص 225.

[3]- مريوش، المرجع السابق، ص ص (125، 126).

ووقعت بينهم معركة قُتل على إثرها فلاترز وأعضاء البعثة الفرنسية التي كانت ترافقه يوم 16 فيفري 1881م[1].

[1]– سرير، المرجع السابق، ص ص(23،24).

3. نشاط الجواسيس الفرنسيين بالصحراء الجزائرية:

تعد مرحلة ما قبل الحملة العسكرية على الجزائر المرحلة التي شغلت الساسة العسكريين الفرنسيين من أجل نجاح تلك الحملة في أول الأمر. فالقضاء على المقاومة في المرحلة الثانية ثم استتباب الأمن بجيش الاحتلال وللمعمرين الأوربيين في المرحلة الثالثة . هكذا قام الفرنسيون بدراسة الجزائر عن طريق بث جواسيس مختلفين الرؤى من أجل السيطرة والتوغل، كما استفادوا من دراسات أخرى مترجمة كانت تسعى إلى نفس الهدف المتمثل في شن حملات عسكرية للتوسع والإخضاع . وهكذا وظف الفرنسيون تجاربهم وخبراتهم في حملتهم ضد الجزائر مما حتم عليهم توظيف الترجمة عن طريق الدبلوماسيين والجواسيس خاصة في مع سكان المناطق البعيدة مثل التعامل مع طوارق الصحراء.

أ. **الجذور التاريخية للجوسسة الفرنسية بالجزائر:** بداية وجب علينا إعطاء نبذة عن نشأة المخابرات الفرنسية لذلك أدرجنا في هذا المبحث عنصر فرعي مهم يحتوي على معلومات خاصة بالمخابرات الفرنسية .

- **بداية المخابرات الفرنسية:** في عام 1899م سُحبت مهمة مكافحة التجسس من أيدي العسكريين، وعهد بها لوزارة الداخلية وكان هذا القرار نتيجة مباشرة لقضية دريفورس[1] الشهيرة التي بدأت عام 1894م، كان مرسوم 1899م قد نص على تأسيس المشرف العام لشُعَب أو مديرية مراقبة الأراضي الفرنسية، لكن هذه المديرية لم تمتلك إمكانيات حقيقية مستقلة واختفت سنة 1907م، وولدت من جديد في بداية سنوات الثلاثينيات مع بداية التحرشات والتدخلات الألمانية مما ألزم على الحكومة الفرنسية إلى تشريع مرسوم 1934م لإعادة الحياة في شُعب مراقبة الأراضي الفرنسية التي تُعرف بال S T فقط زُودت هذه المرة بالإمكانيات كبيرة وحقيقية، وعند تحرير فرنسا صدر أمر من الجنرال ديغول في 16 نوفمبر 1942م بولادة مديرية مراقبة وحماية الأراضي الفرنسية عُرفت بال D S T، حيث كان معظم ضباط هذه المؤسسة الجديدة قد جُندوا من عناصر ال S T و المقاومة وال B C R A وكان أول مديرها هو روجيه ويبوت، تعاقب عليها 14 مديراً عاماً، وتشكل هذه المديرية من المؤسسات الحساسة والمهمة لفرنسا، وحالياً هي بمثابة شعبة استخبارات أمنية تمتلك سلطات وخبرات شرطة مكافحة الإجرام المتخصصة. ويمكن تحديد مهام ال D S T بثلاث أنواع تقليدية وهي: مكافحة التجسس، مكافحة الإرهاب.[2]
- **هيئة المترجمين العسكريين الفرنسيين:** فكرت الحكومة الفرنسية قبل الحملة على الجزائر سنة 1830م في إنشاء هيئة للمترجمين العسكريين تكون واسطة بينها وبين المجتمع جديد تجهل لغته ودينه وأخلاقه

---

[1]- **قضية دريفوس**:l'affaire dreyfus هو صراع اجتماعي وسياسي حدث في نهاية القرن 19م في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة أُتهم بالخيانة في هذه القضية النقيب ألفريد دريفوس هو فرنسي الجنسية يهودي الديانة. حيث أتهم النقيب في 1894م بأنه أرسل ملفات فرنسية سرية إلى ألمانيا. وحكمت عليه المحكمة بالمؤبد لكن بعد التحقيق تمت براءته من هذه القضية. ومن ذلك الوقت أصبحت قضيته رمزاً للظلم في فرنسا وكانت الكتابات الفرنسية تستدل بقضيته الشهيرة ...للمزيد. يُنظر، محمد العباس، **مقال في دريفوس العربي**، "جريدة القدس العربي "،عدد خاص، 10سبتمبر 2014م، فلسطين.

[2]- جواد بشَّارة، **الإرهاب، الحرب و السلام**، "الحوار المتمدن"، ع307، 14نوفمبر 2002م، د.ص.

وكل مقوماته فتَّم استدعاء كل من المستشرقين وتلاميذ اللغات الشرقية وخريجيها وقناصل الدول المجاورة للبحر الأبيض المتوسط وكذا ضباط المماليك التابعين للحرس الملكي سابقاً، حيث اشترطت فيهم التوسع في شتى العلوم وموالاة فرنسا، وفي شهر جانفي 1830م عهدت وزارة الحربية الفرنسية بهذه المهمة إلى العقيد كلارمونت تونار أحد أعضاء هيئة الأركان الحربية الذي كان متضلعاً في اللغات الشرقية ففتح مكتباً خاصاً بتجنيد الموظفين الراغبين في الالتحاق بهذه الهيئة، وتكونت لأول مرة تحت قيادة الجنرال لوفاردو هيئة أُطلق عليها اسم (هيئة المُترجمين والمرشدين العسكريين).

قد كان من بين المترجمين الأوائل الذين التحقوا بهذه الفرقة السيد براسيفيش أحد مترجمي بونابرت في مصر والسيد جاكوبي حبايبي. ولقد إختلفت مهام المترجمين العسكريين في الجزائر بعد الحملة الفرنسية عن الدور الذي كانوا يؤدونه قبلها فلقد تركزت قبل 1830م على المسائل الدبلوماسية حيث كانوا يلعبون دور الوسيط بين الدول،أما بعد ذلك أصبحت لهم مهام جديدة من ترجمة النصوص والوثائق العربي إلى الفرنسية والعكس بذلك إلى إرشاد الفرق العسكرية لخوض معارك في مناطق تجهلها وإعداد مراسلات بالغة العربية للاتصال مع الجزائريين سكان هذه المناطق والاستماع إلى تقارير الجواسيس ومراقبتها ومراقبة القيادة العسكرية أين ما ذهبت[1].

ب. أهم الجواسيس الفرنسيين في الصحراء:

- **يوجين فرومنتان:** جاء فرومنتان إلى الجزائر في سنة 1848م وزار الساحل والصحراء، وذهب خصوصاً إلى بسكرة والأغواط أُعجب بمضيق القنطرة حيث ألَّف كتابه الشهير "صيف في الصحراء" في 1874م وكان وصفه للصحراء عامة سيما بسكرة والأغواط من آيات الأدب الفرنسي في ذلك العهد. وساعد كتاب الجوسسة معظم العسكريين الفرنسيين في التغلغل ومعرفة أصول وأحوال سكان الجنوب[2].□
- **العميل رقم 1384**: الجاسوس المعروف بالعميل رقم 1384 عضو في فرقة اللفيف الأجنبي التي أنشأتها فرنسا منذ 1831م بعد احتلال الجزائر مباشرة وهي فرقة تضم الجنود المتطوعين من جنسيات أجنبية في الجيش الفرنسي. وهو كاتب ما يُعرف بالدورية العربية والتي وصف فيها الواقع الذي عاشه في المنطقة الصحراوية التي تشمل مدناً كثيرة. وقد تحدث فيها بالتفصيل عن أشخاص عرفهم عن قرب قد تكون أسمائهم حقيقية أو مقنعة بحكم السرية التي تُميز عالم الجوسسة، غير أنه ذكر أسماء الضابط الفرنسي المشرف على ما جرى من حوادث كما ذكر أسماء عربية مثل: بن حمزة، بن حيمر.كما ذكر العميل دريان لبدل مارت وهو مؤلف كتاب الفرقة الغريبة□strang□compam□. كما تكلم العميل عن الفرقة والأجناس التي

[1]- عبد العزيز جيدل، **نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر خلال القرن 19م**، مذكرة ماجيستر ، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009م، ص ص(3-7).

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر...ج7**، المرجع السابق، ص 382.

التحقت بها منذ 1911م إلى 1953م وهي فرقة معروفة بوحشيتها وبدورها الشرس في مقاومة الوطنيين، وإنّ هذه الفرقة لا ينساها الجزائريون منذ تأسيسها وحتى خروجها بعد الاستقلال مباشرة وهي التي كان شعارها" النهب، القتل، القسوة" الفظيعة التي لا نظير لها، و يذكر العميل 1384 أنّ فرنسا تمتلك تنظيماً للجوسسة لا نظير له في العالم فهو تنظيم متميز تماماً من خلال وكالة عادية فقط تعمل لصالح الاستعمار الفرنسي[1].□

- **إيزابيل ايبر هارد**: يذكر أبو القاسم سعد الله عن إيزابيل فيقول: «...وكان مجيئها للجزائر يغطيه غبار كثيف، هل هو الجوسسة لصالح ألمانيا كما أشارت الأجهزة الفرنسية؟ .»[2] .لكن نحن هنا نطرح نفس السؤال، بعبارة أخرى فنقول هل جاءت إيزابيل من تونس إلى الجزائر حباً فيها أم لمغامرة تجسسية؟ على اعتبار أنها من الأدبيات غير الفرنسيات اللائي كتبن بالفرنسية وتأثرن بالجزائر والإسلام غاية التأثر في القرن الماضي□؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال عرض بعض المعلومات حولها في هذا المطلب.

ولدت إيزابيل في جنيف بسويسرا عام 1878م، ولم يُعرف لها أي والد ولكن تعارف المؤرخون الذين اهتموا بحياة الفتاة المغامرة بالقول أن والدها المفترض أن يكون هو ألكسندر تروفيموسكي أي أنها من أصول ألمانية روسية [3]، وسكنت باريس وحملت جواز سفر روسي صادر من موسكو، وكانت قضية دي موريس طاغية على أخبار فرنسا. واعتقد البعض أن المعادين للسامية كانوا وراء السكوت عن قتله. فأبدت إيزابيل استعدادها لمساعدة أنصار موريس في البحث عنه، حيث كانت تعرف العربية وأعلنت أنها صحفية ونزلت إلى تونس متنكرة، في حين تُثبت بعض الوثائق الفرنسية أنها جاءت من العاصمة إلى بسكرة ثم منها إلى تقرت، ونزلت في فندق الواحات سنة 1899م، وكانت لا تتجاوز 22 سنة ومن هناك ذهبت إلى وادي سوف بتاريخ 1901م. واعتنقت الإسلام فيها وفي نفس السنة[4].

وكانت إيزابيل تعرف بلا شك التنافس بين الطريقتين القادرية والتيجانية في المنطقة، كما أنها كانت تعرف أن السلطات الفرنسية تتهم التيجانية أنها وراء مقتل دي موريس.لكن السلطة لا تريد الكشف عن التيجانية لأنها تعتبرها اليد اليمنى في سياسة التوسع الفرنسي داخل الجنوب، والحفاظ على سمعتها لذلك سارعت إيزابيل إلى واد سوف ودخلت في الطريقة القادرية على يد شيخها الهاشمي بن إبراهيم وأصبحت من أتباعها المقربين، فاتهمتها السلطة الفرنسية بالتواطؤ مع شيخ الطريقة نفسه[5]، وظلت إيزابيل تتنقل بين الجزائر والواحات وباريس فزارت لالا زينب شيخة الطريقة الرحمانية ببوسعادة وكتبت عنها، كما ألفت كتاب نُشر

---

[1]- عبد الله الركيبي، **الجزائر في عيون الرحّالة الانجليز**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص ص(325-331).

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر**.... **ج6**، المرجع السابق ،ص 388.

[3]- جيدل ،المرجع السابق، ص 75.

[4]- سعد الله، نفسه، ص 388.

[5]- سعد الله، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ج5**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص ص(124،125).

مسلسلا بعنوان" في ظل الإسلام الدفيء"في جريدة الأخبار كما كانت تراسل صحف الفرنسية في الجزائر وفرنسا وكسبت أصدقاء من مختلف الطرق الصوفية، كما أنها صادقت الفرنسيين على غرار الماريشال ليوطي والصحفي باروكان، وقد تركت بصمتها في الكثير من الكتابات الأدبية الخاصة بصحراء الجزائر. لكن بأسلوبها وتفكيرها وسلوك لباسها تحدت المجتمع والتقاليد الجزائرية العربية الإسلامية[1]، وفي صيف 1904م كانت إيزابيل بواحة أخرى هي عين الصفراء الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية للجزائر في مواصلة لمهمتها وهي جمع الأخبار عن القضية التي جاءت من أجلها، لكن لسوء المناخ جرفها الوادي الهادر. وبعد ذلك وجدها بعض الجنود الفرنسيين جثة هامدة محصورة بين باب غرفتها والحائط وقد كان عمرها آنذاك 25 سنة[2].

كل أحكام ومغامرات وعلاقات إيزابيل لا تزال محل شك ودراسات قابلة للطعن غير أن قلمها وأدبها لا غبار عليهما، وأثر الجزائر لا يختلف فيه اثنان خاصة الأجواء الدينية والاجتماعية في الواحات وظاهرة الاضطهاد تحت النير الفرنسي[3] وظلت دوائر الظل تدور حولها إلى الأبد.

[1]- سعد الله، **أبحاث و آراء** ...، المرجع السابق،ص 126.

[2]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج6**...، المرجع السابق،ص 390.

[3]- سعد الله، **أبحاث وآراء**...، نفسه، ص 126.

الفصل الثالث

سياسات الإخضاع العسكري والسياسي للاستعمار الفرنسي للصحراء الجزائرية

- الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء
- الإستراتيجية الفرنسية لإدارة الصحراء الجزائرية

1. الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء:

أثارت الصحراء الجزائرية إعجاب الكثير من الأوربيين منذ زمن بعيد، حيث كانت بالنسبة لهم منطقة مجهولة وتنحصر مفاهيمهم حول معلومات قدمها الجغرافيون الرومان والأغريق وكتابات العرب في القرون الوسطى. لكن بفضل الرحلات والبعثات الاستكشافية والنشاطات الدينية في أعماق الصحراء أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ميلادي، تم التمهيد للقوات الفرنسية في حملاتها العسكرية من أجل السيطرة والقضاء على كل المقاومات، حيث رأت الإدارة الفرنسية أن الصحراء هي معقل الثوار الفارين من الشمال إلى الجنوب ، مما جعلها تعتبر أراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية.

ومن خلال تطبيق سياستها الإدارية والعسكرية التي تسهل عليهم تسيير شؤون الصحراء وبعدما تمكنوا من الوصول إلى مدينة بسكرة واحتلالها سنة 1844م بقيادة "دومال" واحتلال باتنة وتعيين الضابط "سان جرمان" [1]على رأس القيادة في المنطقة، بدأت فرنسا تتطلع إلى وضع يدها على الجنوب الجزائري من خلال شّن حملات عسكرية على الصحراء، وكان قد ساعدها قبل ذلك النشاط الديني والعلمي الذي قامت به لمعرفة مسالكها مما سهل عليها التوسع إلى جنوب الجزائر، وفتح معابر القسم الأوسط التي يعتبر بوابة الصحراء ليتم من خلالها التوغل إلى الجنوب الشرقي والجنوب الغربي وهذا ما سنوضحه من خلال:

أ. **الحملات العسكرية في القسم الصحراوي الأوسط:** وقد شملت الحملات العسكرية في القسم الأوسط على منطقة الزاب الظهراوي(مقاومة الزعاطشة) من أجل إخضاعها، ثم الأغواط وغرداية.

● **إخضاع الزعاطشة** (الزاب الظهراوي): لقد كانت الحملة الفرنسية العسكرية على منطقة الزعاطشة نتيجة استمرار المقاومة فيها لعدة أشهر بسبب عدم مراعاة السلطات الفرنسية لحالة السكان السيئة اقتصادياً. إضافة إلى رفع مقادير الضرائب على أشجار النخيل[2] والاستحواذ على الأحباس[3]، حيث انطلقت حيثياتها بواحة الزعاطشة بالزيبان بداية من شهر ماي 1849م لتشمل مناطق الأوراس والحضنة[4]، حينها قرر الحاكم العام "شارون" إرسال حملة ضد من أسماهم بالقبائل المنشقة والمشاغبة[5] حيث قامت فرنسا بمحاولتين للقضاء على المقاومة الأولى بتاريخ 16 ماي 1849م والثانية بتاريخ 16و 17 جويلية. وفي أكتوبر قرر الجنرال" هيربيون" معاقبة سكان واحة الزعاطشة فقام بقطع مئات النخيل بغرض نزع الحماية على الثوار وفتح الطريق

[1]- **سان جرمان**: قائد المكتب العربي ببسكرة، تّمكن من القضاء على ثورة النمامشة 1846م حيث واجه الثوار بمدفعية وأسلحتهم الفتاكة.يُنظر، مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية** ص 56.

[2]- محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص 65.

[3]- بوعزيز، **أضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة عام 1848م**، " مجلة الثقافة" ع32، ماي 1976م، الجزائر، ص 99.

[4]- محمد عيساوي ، نبيل خرشي، **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1870م)**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص 127.

[5]- الزبيري، نفسه، ص66.

أمام المدافع وشاركه في حملته هذه ضباط نذكر منهم: "بورتاكي، تاربوكسيه، بارال، كانووبار"، ولقد أدى وصول "لورمال" بنجدة كبيرة يوم15 نوفمبر 1849م إلى محاصرة الزعاطشة[1] واستمر ذلك إلى غاية الهجوم الكبير الذي شنّه العدو الفرنسي يوم 28 نوفمبر 1849م هجوم انتهى باقتحام الواحة[2] واحتلالها كافةً، بعدها قرر الجنرال "هيربيون" بقتل الشيخ بوزيان[3] كما أمر بقتل ابنه وقطع رأس الحاج موسى حتى يُغطي على الإشاعات بأنهم لم يموتوا بل فروا إلى بعيد وكانت القوات الفرنسية قد هاجمت منطقة بوسعادة بقيادة العقيد "دوماس" في 4 نوفمبر 1849م[4] وقامت بتدمير واحة نارة بعد معركة حاسمة مع العدو الفرنسي و انتهت إلى نفس مصير الزعاطشة[5] على يد العقيد "كانروبير" الذي ادعى أن الأهالي رفضوا دفع الضرائب[6] وذلك يوم 5 جانفي 1850م[7].

● **احتلال الأغواط**: عندما بدأت القوات الفرنسية في شهر مارس 1844م بجولة استكشافية قادها الجنرال "ماري مونج"Mary Monge قائد شعبة المدية العسكرية مع طابور قوي من 1500 جندي، وعند وصولها إلى قصر" زكار" في جبل الصحاري أسرع أحمد بن سالم بإرسال أخيه إلى القائد العسكري الفرنسي ليُقدم له الولاء ويطلب منه أن يمنحه منصب خليفة على الأغواط لتمثيل السلطة الفرنسية في المنطقة بقصورها الخمسة (العسائية، قصر الحيران، الحويطة، تاجمون، عين ماضي)، بالإضافة إلى الأرباع الحزار الله وبني ميزاب[8]، في ظل هذه الظروف أعلن شريف ورقلة عن ثورته وبدأ في مهاجمة المتعاونين مع السلطة الفرنسية ففي مطلع سنة 1852م هاجم الأغواط مما دفع ببن سالم الهروب إلى المدية، هذه الظروف الأخيرة ساعدت الشريف على افتكاك الأغواط سنة 1852م والسيطرة على المدينة بأكملها خلال شهر نوفمبر. وهو ما دفع بالفرنسيين بتعزيز قواتهم العسكرية والدخول في معركة يوم 4 ديسمبر1852م تمكنت على إثرها القوات الفرنسية باحتلال الأغواط[9]، وعملت بعد دخولها للمنطقة على استمالة سكان الصحراء وذلك بأسلوب الاتفاقيات والمفاوضات مع شيوخها حيث وقع بينهم وبين أهالي ميزاب اتفاق يوم 23 أفريل 1853م والذي

[1]- عيساوي، خرشي، المرجع السابق ، ص128.

[2]- عميراوي ، المرجع السابق، ص 42.

[3]- **بوزيان**: مقدم الطريق الدرقاوية بمنطقة الزيبان ، عمل تحت إمرة الأمير عبد القادر كشيخ على سكان الزاب الظهراوي.

[4]- عيساوي، خرشي، نفسه ، ص .ص(128، 129).

[5]- عميراوي، نفسه ،ص 43.

[6]- بوعزيز، **أضواء على انتفاضة...**، المرجع السابق، ص 49.

[7]- عيساوي ، خرشي، نفسه، ص 130.

[8]- علالي ، المرجع السابق، ص45.

[9]- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ص. ص(375، 376).

نص بموجبه على دفع الضريبة للفرنسيين قدرها 4500 فرنك والاعتراف بحمايتهم[1]، ومن منطقة الأغواط تم توجيه حملات عسكرية ضد عدة مدن صحراوية منها غرداية 1853م ثم ورقلة 1881م ثم المنيعة1891م[2].

ب. **الحملات العسكرية على الجنوب الشرقي:** منذ الاحتلال المباشر لمدينة قسنطينة ومدينة باتنة تطلّعت القوات الفرنسية إلى مد نفوذها نحو الجنوب الشرقي وكانت البداية بتدفق التجار والجواسيس الفرنسيين على سوق تقرت ووادي سوف وورقلة وغيرها من مدن الجنوب الشرقي. حيث يعتبر هذا القسم (الجنوب الشرقي) غني بالسبخات التي أعاقت تقدم القوات الفرنسية[3] لكن بفضل بعثاتها الاستكشافية ودراسة المناطق الصحراوية دراسة محكمة استطاعت الوصول إليها .

- **إخضاع وادي سوف:** بدأت فرنسا تفكر جدياً في احتلال إقليم سوف منذ الأيام الأولى من سقوط مدينة قسنطينة أكتوبر 1837م لهذا عملت جاهدة على مد التوسع إليها وشرعت في تجهيز الطوابير العسكرية للسير نحو إقليم واد سوف ففي 1848م أرسل الفرنسيون أحمد باي بن شنوف إلى سوف كقائد عليها حتى يتمكن من التأثير على أهالي المنطقة لكن بعض المقاطعات منها كانت قد أظهرت ولاءها لفرنسا مثل: الزقم، البهيمة، قمار، تاغزوت، كوننسين[4].

- **احتلال تقرت:** ساهمت الاتفاقية التي وقعت بين الفرنسيين وأهل ميزاب يوم29 أفريل1853م في التوغل القوات الفرنسية حتى مشارف مدينة تقرت و لم تمضي سنة واحدة عليها(أي 1854م) حتى هاجموها بحجة مطاردة الثائر الشريف وخلال خريف 1854م جهزت السلطات الفرنسية حملة عسكرية كبيرة بقيادة كل من "مارمية "و "ديفو" و"جان" واشتبكت مع الثوار في معركة" جرت" يوم 28 نوفمبر من نفس السنة[5]، وتمكنت القوات الفرنسية من دخولها يوم 25ديسمبر وعينوا فرحات بن السعيد حاكماً على تقرت وسوف وكافة نواحيها.

- **إخضاع ورقلة:** تعود البدايات الأول لاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة إلى يوم 27جانفي1854م حيث تّم إخضاع كل قرى ومداشر ورقلة بعد مقاومة شرسة أبداها السكان بقيادة محمد عبد الله وبعد سقوط مدينة ورقلة على يد القوات الفرنسية غادرت هذه الأخيرة باتجاه منطقة وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الغزونُصب سي "زوبير ولد بوبكر" آغا على ورقلة، غير أن الوضع الأمني لم يستقر حينها مما دفع القوات الفرنسية العودة إلى ورقلة سنة 1857م. لكن القوات الفرنسية غادرت مرة ثانية مجهزة بإمدادات عسكرية بقيادة الجنرال "دولاكروا" وأعادت احتلال ورقلة من جديد في 5 جانفي 1872م، لتشق هذه المرة ونهائياً

---

[1]- عميراوي، المرجع السابق، ص 47.

[2]- علالي، المرجع السابق، ص 50.

[3]- عميراوي، نفسه، ص. ص(53، 54).

[4]- مياسي، **من مصادر تاريخ الجزائر– تاريخ سوف في كتابات فيرو أنموذجاً**- "مجلة المصادر"، ع11، السداسي الأول، 2005م، ص ص (285-289).

[5]- عميراوي ، نفسه، ص 47.

عام 1882م بعدما تّم تنصيب أول مركز عسكري فرنسي بالمنطقة "الروسيات" تحت قيادة " ألفريد لوشانولي" في نوفمبر 1887م[1].

● **الحملة على الهقار واحتلالها:** كلفت إدارة العسكرية الضابط "كوتينس" للقيام بحملة تصب في مسعى الهيمنة على ما بقى من أراضي الجنوب الجزائري. حيث توجهت من منطقة أمقيد باتجاه إدلس شمال شرق منطقة الهقار واستعمل فيها الجيش الفرنسي سياسة الأرض المحروقة التي طبقها الجنرال بيجو في منطقة الشمال بعد احتلال مباشرة. وكان هدف القائد كوتينس هو إبادة كل كائن حي يعترض طريقه بالمنطقة، وقد تمّكن من التوغل داخل الصحراء واستطاع الاستيلاء على منطقة "تازووك" ومنها توجه صَوب منطقة "تيت تارابين" حيث دحر المقاومة الترقية ووسع نفوذه نحو وادي تيت وذلك خلال عام 1902م[2]، وفي المعركة الأولى التي وقعت بمنطقة تيت سنة 1902م قضى التوارق على القوات الفرنسية مع قائدها "كوتنيس"[3] إلاَّ أنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام الغزاة ومنُّوا بهزيمة تمت من خلالها السيطرة الفرنسية على الإقليم الهقار بجميع مقاطعاته. حاولت السلطات الفرنسية جلب الزعيم الطوارق "موسى أق مستان" حول إخضاع الهقار لنفوذها.[4] ومن هنا اضطرت فرنسا للاستعانة بصديق الأمنيو كال موسى أحمد بيللو قائد عين صالح لطلب الصُلح مع الأمنيو كال. وبعد ترويض موسى أق مستان اقتنع بالتفاوض مع الفرنسيين ليشاركوه في السلطة فأبرم مع السلطة العسكرية بعين صالح الصلح يوم21 جانفي 1904م وفي الحقيقة هذه المعاهدة هي تسليم مقاليد الأمور في الهقار إلى القوات الفرنسية[5] بعدها حاولت فرنسا جاهدة كسب الطوارق إلى جانبها ولعل ما قام به الراهب دي كوفو خير دليل على ذلك[6].

● **إخضاع التاسيلي (جانت):** بعد أن بسطت السلطة الفرنسية نفوذها بمنطقة الهقار حاولت التوغل في منطقة جانت في أول مسعى لها سنة 1908م غير أن الدفاع والمقاومة لأهل التاسيلي بقيادة الشيخ آمود خيبت أمالهم.[7] خصوصاً وأن الشيخ آمود كان قد رفض معاهدة الصلح والاستسلام التي أبرمها موسى أق مستان مع القوات الغازية في 31 جانفي 1904م، وأعلن عن إصراره على مواصلة الجهاد ضد المستعمر، لهذا أعادت القوات الاحتلال الكّرة في 1909م وتمكنت من دخول جانت تحت قيادة الجنرال "لابرين" إلاَّ أن الشيخ آمود

---

[1]– رضوان شافو، **قراءة في السياسة الاستعمارية لمنطقة ورقلة(1957–1962)**، "مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، ع11، جوان2013م، جامعة الوادي، الجزائر، ص. ص(241، 242).

[2]– مريوش، المرجع السابق، ص .ص (130، 131).

[3]– بوشارب، المرجع السابق، ص102.

[4]– مياسي، **قبسات**...، المرجع السابق، ص 121.

[5]– بوشارب، نفسه، ص 102.

[6]– مياسي، نفسه، ص 122.

[7]– نفسه، ص 126.

هزمها شر هزيمة في معركة إسين[1] جعلتها تتراجع إلى منطقة الهقار.[2] وقامت كتيبة بتديكلت في نوفمبر 1911م بالهجوم على واحات المنخفض لتحتله ريثما تسطو على جانت، ومن أجل تنفيذ هذه المهمة كلفت النقيب "شارليه" قائد الكتيبة الصحراوية ملازمين "سيقوتي"و "أردبون" الاستعداد التام للهجوم على جانت وتحركت جموع الفرق العسكرية يوم 27 نوفمبر ودخل الطابور الفرنسي إلى أول قصر من جانت وهو "آرلواز" عبر وادي "أد جيريو"، ويظهر أن السكان قبلوا بالوجود الفرنسي وأنهم أُرغموا على ذلك. واستطاع القائد الفرنسي "أدريان" أن ينجح في مهمته ويُقنع الجميع أن مهمته تشمل في إرساء الأمن في هذه الواحات[3]، وبحلول عام 1918م انتهجت فرنسا من جديد سياسة القوة والترهيب حيث نظمت حملة عسكرية بقيادة "قارديل" و"إشتاركي" فكانت معركة جانت قد انهزم فيها "قارديل" ثم تلتها معركة أخرى بمنطقة "أسكاو" عام 1920م والتي دامت أكثر من 15 يوماً.[4]

ت. **الحملات العسكرية على الجنوب الغربي:** إن الحديث عن الحملات العسكرية الفرنسية بالجنوب الغربي للصحراء الجزائرية ومعرفة أسبابها يتطلب منا الرجوع إلى سنة 1844م وهي واقعة وادي إيسلي بالمغرب الأقصى وسنة 1845م معاهدة لالا مغنية التي من خلالها توقف الأمير عبد القادر عن الحرب سنة 1847م. ولعل هذه التواريخ الثلاث كلها كانت سبباً ودافعاً في توجيه السلطات الفرنسية الاستعمارية أنظارها إلى التوسع نحو الجنوب الغربي ولكن الأهم في هذه الأسباب التاريخية هو عام 1845م التي أبرمت فيها تلك المعاهدة والتي يظهر من خلالها المغرب الأقصى قد غالط فرنسا حينما ادعى أن هذه المناطق قاحلة وبدون سكان ولا تدُب الحياة فيها كما أنها كانت غامضة حول قضية الحدود و أنها مجرد حدود وهمية وضعتها فرنسا بين الجزائر والمغرب. وبناءًا على أحداث هذه المعاهدة والأحداث السابقة انطلقت المخططات الاستعمارية الفرنسية من أجل مّد توسعها نحو الجنوب الغربي وكانت البداية سنة 1845م عندما استولى "بيري" على قصور وحاميات ورسرل وبرازيقة وخلال سنة 1847م أشرف على مناطق أولاد سيدي الشيخ إلى واد الناموس. بعدها اصطدمت التوسعات الاستعمارية نحو الجنوب الغربي بمقاومة الشيخ بوعمامة[5] التي

---

[1]- **إسين** : معركة وقعت بقرية ايسين في جنوب بلدة غات الليبية ، بدأت مقدمات هذه المعركة بعد كمين الذي نصبه الثوار للقوات الفرنسية للقافلة تموين فرنسية إلى جانت...للمزيد. يُنظر، مياسي، **أضواء على معركة إسين** ، " مجلة المصادر"، ع4، 2001م، الجزائر، ص. ص(151-162).

[2]- بوشارب، نفسه، ص. ص(103، 104).

[3]- مياسي، **قبسات**...، المرجع السابق، ص .ص(126، 127).

[4]- بوشارب، المرجع السابق، ص 104.

[5]- ولد بوعمامة سنة 1838م في قصر الحمام الفوقاني هو رائد المقاومة الشعبية في الغرب الجزائري وصلت إلى غاية مختلف المناطق الصحراوية ، استطاع كسب الكثير من الأنصار إلى ولاءه لمقاومة الغزو الفرنسي...للمزيد. يُنظر، عبد الحميد ز وزو ، **ثورة بوعمامة 1881-1908م (جانبها العسكري 1881-1883م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص22.

امتدت من 1881م إلى غاية 1908م لتكمل مشروعها التوسعي في مناطق مختلفة في الجنوب الغربي في كل من عين صالح وقورارة وتوات وعين غار والساورة...الخ.

- **احتلال عين صالح**: لقد فتحت البعثات العلمية للأستاذ فلامون إلى عين صالح آفاق واسعة أمام التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري، حيث تغيرت إلى حملة عسكرية[1]. وعندما وصلت التحقت بواحة ايقوسنن الواقعة في أقصى شرقي "قاد يكالت" وهناك هوجمت يوم 27ديسمبر من قبل حوالي 200 رجل من أهالي عين صالح لكن القوات المصاحبة للبعثة والمزودة بالأسلحة تمكنت من صَّد الهجوم ،ثم بعد ذلك تجمع سكان منطقة "تاديكالت" في عين صالح وقرروا التصدي للفرنسيين معتمدين على مساعدة السلطان المغربي، وفي نفس الوقت وصلت رسالة من قائد القوات الفرنسية إلى المهدي ولد باجورة أحد زعماء المنطقة طالبة منه ارسال وفد للتفاوض على أن يكون اللقاء في "الفقيرة" بأوغستن يوم 28 ديسمبر 1899م. وبدل التفاوض وقعت معركة بين الطرفين [2] قُتل على إثرها الحاج مهدي باجوادة . وحينها سيطر النقيب "بان" على الموقف خاصة بعد أن تدَّعمت البعثة بفرقة الصبايحية تحت قيادة النقيب "جرمان"[3] وواصل الفرنسيين سيرهم في اتجاه عين صالح مروراً ب"عمونية سيساً" الواقعة بين اينغر (عين غار) وعين صالح[4]، أما سكان عين صالح فإنهم تجمعوا في منطقة "البركة" وتداولوا لأمر بينهم فوجدوا أن التسليم للفرنسيين أسلم لهم بعد أن لم تصلهم المساعدة المغربية، وبذلك دخل الفرنسيون عين صالح دون قتال في 29 ديسمبر1899م. وفي هذه الأثناء وصل الفرنسيين خبر تجمع طابور من سكان المنطقة بعدد ألف رجل من أهل عين غار وآولف وتيت وأقبلي، أنهم اقتربوا من قصر الزعاطشة ففاجأتهم بغتة وأطلقت النار على الأهالي واستشهد منهم الكثير[5]، بعدها تجددت المعركة بقرب من الزعاطشة يوم5 جانفي 1900م احتمت على إثرها بالحصون وحدائق القصر، بعدها قامت مجموعة من الصبايحية بهجوم عنيف زعزعت فيه الصفوف المقاومة ودفعتهم إلى الانسحاب، حيث تعرضت البعثة بعدها إلى هجومات متكررة قرر على إثرها الوالي العام "لافريال" تدعيمها بقوات القائد "بومقارتن" وبذلك سيطر نهائياً على المنطقة بعدما اندمجت مع بعثة "فلامون" وقتل المقاومين لها وكانت تعتبر النجاح الذي سهل لفرنسا للدخول إلى أعماق الصحراء[6].

---

[1]- مياسي، **التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912م)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص109.

[2]- عبد القادر خليفي، **محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة(1830-1962م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص.ص(66، 67).

[3]- المركز الوطني للدراسات والبحث العلمي في الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 229.

[4]- خليفي، نفسه، ص 67.

[5]- نفسه، ص. ص(67، 68).

[6]- مياسي، نفسه،ص 110.

- **احتلال عين غار(اينغر) وإيقلي**: كلف "بومقارتن" ملازمه "كلوسيتر" بالسير إلى عين غار على رأس 100فارس للتعرف على هذه الواحات، فغادر الملازم عين صالح يوم21 جانفي 1900م ودخل عين غار بدون أن يتعرض إلى أية مقاومة فسارع الرائد "بومقارتن" إلى اللحاق به لاحتلال كامل هذه الواحات[1]، وفي يوم24 جانفي1900م تمكن من الوصول إلى عين غار وطلب من السكان الخضوع له إلاَّ واجه مقاومة شرسة منهم حيث هذه الأخيرة دفعت بوزير الحربية أن يصدر أوامره بالعودة إلى عين صالح فوصلها يوم 27جانفي. وهكذا قامت القوات الفرنسية باحتلال إيقلي بواسطة طابور "برترون" الذي غادر "زوبية"-"دوفيريه" يوم25 مارس1900م وانحدر من وادي زوزفانة حيث دخل إلى إيقلي بدون حوادث تُذكر وتم احتلالها يوم 5أفريل بكل سهولة[2]، وفي نفس الوقت اتجه طابور العقيد" أُو"EU" إلى عين غار بعد أن اجتمع وضم قوة هائلة فحاصروا قصور عين غار وبعد أن قامت القوات الفرنسية بالدوران حول هذه القصور وضرب الحصار عليها، وفي صباح يوم 19 مارس 1900م تم بدأ إطلاق النار والقصف المدفعي لشديد حتى اضطر المقاومون إلى التراجع، واضطر الأهالي إلى التسليم والخضوع للقوات الفرنسية فدخلت إلى عين غار وأخذت الباشا كأسير إلى عين صالح[3].
- **إخضاع تيت أقابلي وأولف**: وبعد خضوع عين غار توجهت القوات الفرنسية إلى احتلال تيت يوم 23مارس، لتدخلها في الغد بدون مقاومة لأن سكانها قد سمعوا بأعمال العنف والوحشية التي مارستها القوات الفرنسية في عين غار فقَبل السكان الخضوع. وفي 25 مارس انتقلت قوات الاحتلال على أقابلي التي تشمل على أربع أو خمس قرى صغيرة وتمكنت من احتلالها بسهولة[4] ، سمع سكان آولف بسقوط عين صالح في 29 ديسمبر1899م، فبدأت التعبئة الشعبية للزحف نحوها من أجل مساعدة إخوانهم من جهة والوقوف من جهة أخرى في وجه التوسع العسكري الفرنسي الذي يريد الوصول إلى أرضيهم وإخضاعها مثلما سيطروا على المناطق الأولى. فأدى هذا إلى وقوع معركة قوية بقيادية آوليفية، حيث كان الجيش الفرنسي يتكون من 1000 مقاتل بقيادة النقيب "بان" المُدّعم بفرقة من المرتزقة، بينما مجاهدو آولف تحت قيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس. استخدمت القوات الفرنسية في هذه المقاومة أسلحة متطورة كان لها الفضل في انتصارها ونظراً لعدم التكافؤ في الأسلحة لم تدم طويلاً، وأرسل القائد الفرنسي إلى زعيم اينغر السيد عزي الحاج أحمد لطلب الاستسلام فرفض وبدأت المواجهات بين الطرفين وفي مارس من نفس السنة تَّم الدخول إلى واحة آولف[5] وهي تقع جنوب شرق رقان[1].

---

[1]- مياسي ، **التوسع**...، المرجع السابق، ص 111.

[2]- عميراوي، المرجع السابق، ص52.

[3]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية...، المرجع السابق،ص 232.

[4]- مياسي، نفسه، ص113.

[5]- بن حامو حنان، أعبودة خديجة، **آولف ومقاومة الاحتلال الفرنسي**، مذكرة ليسانس، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية ، جامعة العقيد أحمد دراية، الجزائر، 2009م، ص ص (31-33).

- **احتلال قورارة وتوات**: استمرت فرنسا في توسعها الاستعماري في الجنوب الغربي فأرسلت يوم17 أفريل 1900م طابور العقيد "منيسترال" لإخضاع إقليم قورارة، لكن وبرغم من قوة الجيش الفرنسي المتكون من 800 رجل ومدفعين الذي انطلق من المنيعة فإن سكان قورارة وقفوا أمام هذا التوسع، مما اضطر بالقوات أن تطلب المدد[2] من الحامية الفرنسية بالبيض بفرقة قدرها 400 جندي التي ساعدتهم في الأخير على اقتحام تميمون يوم 12أفريل 1890م وواصل سيره يوم 31 ماي نحو قصور "زوا ودلدول"[3]، وعرفت الشهور الأخيرة من سنة 1900م تجميع القوات الفرنسية في المنيعة لإنشاء طابور جديد لاحتلال إقليم توات ، وغادر هذا الأخير يوم 8جانفي 1901م وحلَّت بتميمون يوم 20 جانفي مما سهل عليها الدخول إلى توات بعد أن وقعت أدرار بأيديهم يوم 1 فيفري 1901م[4].
- **إخضاع منطقة الساورة**: في 11 ماي 1903م عين السيد "جونار" خبير بالشؤون الجزائرية على رأس الولاية العامة للجزائر فأسرع للتوسع الاستعماري في الجنوب من أجل السيطرة على كامل التراب الجزائري، فقام يوم31ماي بجولة تفقد إلى الجنوب الغربي وبها تعرض لهجوم سكان منطقة "زناقة" بفيقيق حيث كان الرد من طرف الاحتلال هو القصف المدفعي يوم 8جوان مما اضطر بالسكان إلى طلب الأمان من الحكومة الفرنسية ومنَح لهم ذلك[5]. خلال هذه الفترة شهدت المنطقة معارك عسكرية حاسمة منها معركة الموقار يوم 2 سبتمبر 1903م وقبل ذلك كان هجوم تاغيت وفي هذه الأثناء عينت فرنسا العقيد "ليوتي" على قيادة منطقة عين الصفراء لمراقبة ضواحي أولاد جرير وذوي منيع في حوض "زوزفانة"[6].

وفي الأخير نلاحظ أنّ الحملات العسكرية الفرنسية في كل من أقسامها الثلاث الأوسط، الجنوب الشرقي، والجنوب الغربي، تميزت بالتدرج في عملية توسعاتها نحو الصحراء الجزائرية وكانت بطيئة جداً مقارنة بالشمال حيث ركزت فيها القوات الاستعمارية مباشرة منذ الوهلة الأولى للاحتلال واختيارها لأهم المدن الإستراتيجية التي تستطيع من خلالها تنفيذ مخططاتها الاستغلالية والاستعمارية والتنصيرية التي كانت تهدف لها ضمن مشروعها الحضاري حسب شهادات الخاصة بالعسكريين والقواد الفرنسيين. وأثناء التمركز والتوسع وشن الاعتداءات العسكرية إلى غاية الصحراء نجد فرنسا لم تحترم لا دين ولا عرق ولا الإنسانية. بل كانت مدعمة بأسلحة مفقودة لدى رجال المقاومة بجنوبنا الكبير مثل المدافع، الأسلحة المتطورة...الخ. وهذا من

---

[1]- عميراوي، المرجع السابق، ص53.

[2]- مياسي، **التوسع** ... ، المرجع السابق، ص 116.

[3]- عميراوي، نفسه، ص 64.

[4]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية...، نفسه، ص ص(233، 234).

[5]- مياسي، نفسه، ص 118.

[6]- عميراوي، نفسه، ص66.

الأسباب التي ساعدت فرنسا أنإنجاح عمليات التوغل والتوسع في الجنوب الجزائري. مما أدى إلى استمرارية المقاومة التي بدأها الأهالي في الشمال رجوعاً إلى الجنوب لفترة من الزمن إلى غاية سقوط الهقار 1912م.

2. الإستراتيجية الفرنسية لإدارة الصحراء الجزائرية

لم تكن الحكومة الفرنسية بالجزائر متجانسة وذات رؤية واحدة مكتملة إنما كانت خليط مركب وقابل للتغير من سياسات الإخضاع والحكم الذاتي إلى الاستيعاب، مما جعل من المستعمَرة الجزائرية أنموذجاً فريداً من نوعه في الإمبراطورية الكولونيالية الفرنسية، وأضحى الكيان الوطني منذ بداية الغزو ومباشرة أمراً مغيباً تماماً في النصوص الرسمية التي كانت بأيدي الإداريين الفرنسيين الأوائل فلم يعترف للفرد الجزائري أن يتعامل معه كشخص قانوني وإنَّما تتعامل معه شبيه بالبربري. لهذا لم تعرف الجزائر قط وضعاً قانونياً أو نظاماً أساسياً كمستعمَرة بالمعنى الكلاسيكي على خلاف المستعمرات الأخرى التي كانت تمتلكها فرنسا، ففي الوقت الذي كانت تخضع فيه لسلطة الوزارة الحربية-أي أن الجزائر تُساس من خلال الوزارة الحربية- كانت القوانين الدستورية 1848-1852م تتضمن نصوصاً يأتي فيها ذكر الجزائر منفصلاً عن المستعمرات الأخرى[1]، أما الصحراء فكانت جزء لا يتجزأ من الجزائر وهذا الاعتراف كل القوانين الفرنسية وعلى رأسها القانون الصادر 1884م هذا القانون لم يحدث قط ذاتياً سياسياً، وإنّما اكتفى بإحداث تنظيم من نوع إداري بعد الاعتراف بأن أرض الجنوب جزء لا يتجزأ من الجزائر. لذلك وجب على الإدارة الفرنسية أن تدخل تنظيمات إدارية وعسكرية لتسيير الصحراء الجزائرية بعدما أن توجع توسعها في الوصول إلى أقصى نقطة في الصحراء الجزائرية والسيطرة عليها[2].

أ. التنظيمات الإدارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية:

لقد استمرت عمليات التوغل من أجل السيطرة على الصحراء فترة طويلة من الزمن دامت حوالي 68 سنة تقريباً وذلك منذ أن تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية احتلال كل من بسكرة وباتنة 1844م إلى غاية سقوط الهقار 1912م واحتلالها، ومن ثمة تمكنت القوات من فرض سيطرتها على الصحراء الجزائرية واعتبارها إقليما جنوبياً من الجزائر يخضع لقوانين أساسية لإلحاق الجزائر بفرنسا وتحت إدارة الحاكم العام وفقاً لقرارات الصادرة في 14 أوت 1902م و24 ديسمبر1902م وقوانين أخرى تعاقبت بعدها 1903-1905-1909م وبذلك أصبح لزاماً على الإدارة الفرنسية بالجزائر إيجاد جهاز إداري وعسكري تُسيَّر من خلاله هذا الإقليم .

- **التنظيم الإداري لأرض الجنوب من1845 إلى غاية 1870م:**

[1]- عيساوي ،خرشي، المرجع السابق، ص. ص(20، 21).

[2]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 37.

اتخذت فرنسا أساليب لا أخلاقية وغربية لإدارة الجزائر واستغلال ثرواتها وخاصة الزراعية منها[1]، ففي 15أفريل 1845م صدر مرسوم يؤكد إلحاق الجزائر بفرنسا ويُقسمها من الناحية الإدارية إلى ثلاث مناطق منها المنطقة الثالثة هي منطقة عسكرية تشمل الهضاب العليا والصحراء ويخضع فيها الأهالي للحكم العسكري الصرف، وقُسمت هذه المناطق إلى كسب وحدات على رأس كل منها ضابط فرنسي يساعده عدد من زعماء الأهالي وقد أكثروا فيها المكاتب العربية لتساعد الضباط على حكم الأهالي[2]، ومنذ نشأة المكاتب العربية والادارة الاستعمارية تحاول أن ترسم تنظيماً إدارياً جديداً للقبائل حيث وضعت مجموعة من القيادات تضم كل قيادة مجموعة من القبائل والعشائر، وكان يرأس كل قيادة قائد أهلي وعلى كل قبيلة أو عشيرة شيخ واستمر ذلك إلى غاية 1850م.[3] حيث اكتفت سلطات الفرنسية في البداية بالهياكل التي كانت موجودة منذ العهد التركي زيادة على استخدام بعض البنايات غير الرسمية كمقرات للإدارات المحلية (للباشا غات والقياد)، ونسجل أن فرنسا لما احتلت بسكرة سنة1844م اكتفت بالثكنة العسكرية الموروثة عن الأتراك لإدارة الشؤون العسكرية والإدارية والمالية بعد أن زادت بعض التحصينات العسكرية في مناطق مختلفة من المدينة وكان عددها أربعة أو خمسة حصون إستعجالية، أما في عهد الجمهورية الثانية(1848-1852م) تم تقسيم الجزائر بمقتضى القرار الذي صدر في شهر مارس 1848م إلى منطقتين أساسين هما: الجزائر الشمالية حيث أُخضعت للحكم المدني وقسمت إلى ثلاث مقاطعات والجزائر الجنوبية أُخضعت إلى الحكم العسكري.[4]

وفي يوم 9 ديسمبر1848م قررت الحكومة الفرنسية تطبيق نفس النظام السياسي والإداري الموجودين في فرنسا وتم إلغاء نظام المقاطعات الإدارية واستبدالها بنظام العمالات، أما فيما يتعلق بالمناطق العسكرية التي لا تخضع لنظام المدني فلقد كان الأمر يختلف اختلافاً كلياً. فالقيادة العسكرية كانت تعتمد على المناطق لتحكم الأهالي خاصة في ممتلكاتهم لكن نابليون الثالث حاول أن يوفر الحماية الشكلية للجزائريين وممتلكاتهم عن طريق إلغاء نظام ملكية الأراضي الصادر يوم22 أفريل 1863م. ولهذا أنشأت فرنسا الدوائر وهو نظام إداري يقوم على أساس وجود جماعات من السكان متجانسة في منطقة معينة، [5] حيث لم يقتصر هذا التغير الإداري الذي حدث في الجزائر خلال عهد الجمهورية والإمبراطورية إلى 1860م على الشريط الساحلي والمدن بل تجاوزه أيضاً إلى المناطق الريفية والتل وشمال الصحراء.[6]

---

[1]- عثمان سعيدي، **الجزائر في التاريخ**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م، ص 609.

[2]- بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 2007م، ص12.

[3]- راضية حبرو، المرجع السابق، ص27.

[4]- بوعزيز، نفسه، ص 31.

[5]- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1997م، ص ص(133-136).

[6]- سعد الله، **الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص 325.

● **التنظيم الإداري لأرض الجنوب من 1870 إلى غاية 1900م**: صدر مرسوم يوم29 مارس 1871م وأهم ما جاء فيه تقسيم الجزائر إلى إقليمين شمالي مدني وجنوبي عسكري ويُحكم الإقليمين من طرف حاكم عام مدني واسع السلطات يخضع رأساً لوزير الداخلية[1] منذ 1870م، حيث بدأت فرنسا في الشروع لعملية الاحتلال الفعلي للصحراء وذلك بالاعتماد على بعثات اللفيف الأجنبي وتكوين وحدات لبناء الحصون والطرقات ومسالك للصحراء من جهة ومن جهة أخرى لكي يتمكن المستعمر من مراقبة هذه المناطق الشاسعة[2]، إن اللفيف الأجنبي الذي جنده الفرنسيون بواسطة العديد من العلماء ورجال الكنيسة والجغرافيين والمغامرين لهذا الغرض(التنظيم الإداري في الجنوب) إلَّا أن المقاومة الطويلة والشاملة لسكان المنطقة ابتداءاً من واحة بسكرة وإنتحماءاً بالهقار 1912م مشكل عقبة في تنفيذ المخطط الاستعماري في السنوات الأولى من الاحتلال. واللفيف كانت له مهام وأهداف تمثلت في: السيطرة على المقاومة ومراقبتها، وتسيير حياة الرحل والعشائر من طرف إدارة يُشرف عليها الجيش الفرنسي و دراسة السكان التي استهدفت التغلغل إلى أعماق مجتمع الصحراء لمعرفة مكوناته ونقاط ضعفه حتى يسهل للفرنسيين التحكم في هذا المجتمع من داخله، ولإبعاد أيَّة مقاومة من شأنها تعرقل المشاريع الفرنسية التوسعية بالمنطقة. وعلى هذا الأساس عمل الفرنسيون على تقسيم الجزائر وذلك تشجيع النزاعات العرقية والأهلية تطبيقاً لسيادة "فرق تسُد" وهكذا انطلقت سياسة تفريق الأعراش والعائلات إذ شجعوا فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز ضد شيخ العرب عائلة بن قانة[3]، كما وسعوا من هوة الخلافات بين أمراء بني جلاب سلاطين تقرت حول السلطة خاصة بين الرحمان بن عمر وابنه عبد القادر ضد سلمان بن علي، وحاولوا احتواء الطرق الصوفية مثل الطريقة التيجانيب "تيماسين" التي كان لها تأثير روحي على المجتمع المحلي إذ شجعوا الصراع بين سلاطين بني جلاب وشيخ الزاوية محمد العيد على السلطة. كما أن هذه الدراسة كانت محاولة فرنسية لتفكيك مجتمع الصحراء الجزائرية[4].

ومن أهدافها أيضاً إنشاء بلديات مختلطة(أدرار، بشار، ورقلة، الأغواط، جانت، تمنراست)، وإنشاء مراكز خيرية مسيرة من طرف الآباء البيض للتكفل بالصحة والتربية والتعليم وخاصة تنصير الأجيال القادمة.[5] القادمة.[5] وقبل نهاية القرن19م شَمل المخطط التوسعي محاور أساسية كبرى تمثلت في :

---

[1]- بوعزيز،**سياسة**...، المرجع السابق ، ص27.

[2]- المركز الوطني للدراسات والبحث...، المرجع السابق، ص 252.

[3]- **بن قانة**: تعود جذور هذه العائلة إلى جبال جرجرة وانضمت إلى أحمد باي لمحاربة فرحات بن سعيد من أسرة بوعكاز (التي تقربهم درجة المصاهرة) وإخضاع منطقة الزيبان بالجنوب والدفاع لهذا الانضمام هو الرغبة في السيطرة على الصحراء وصلة القرابة الموجودة بينهم وبين أحمد باي...للمزيد، يُنظر، صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر**، دار العلوم، عنابة، 2002م، ص 294.

[4]- رضوان شافو، **المقاومة الشعبية ضد التوغل والاستيطان الاستعماري الفرنسي في جنوب الجزائر**، الملتقى الوطني الخامس عشر، 27 فيفري2011م، المركز الجامعي، الوادي، ص. ص(1-10).

[5]- المركز الوطني للدراسات والبحث...، نفسه، ص252.

- وضع مراكز عسكرية بمثابة حزام أمني وقواعد خلفية ومراكز راحة وتمثيل للبعثات التي تتوغل للصحراء مثل المركز العسكري بالمنيعة وحصن ريبال في حاسي شبابة والمركز العسكري بعين صالح وحصن بجنان بورزق.
- إقامة خط السكة الحديدية يربط الشمال بالجنوب تسهيلاً للتنقل.
- تدعيم مراكز البعثات التنصيرية خاصة البعيدة وفي المناطق النائية.
- وضع المنطقة كلها تحت الحكم العسكري وإلحاقها بوزارة الداخلية.[1]

بعد أن توسعت فرنسا في الجنوب أصدرت قرارات لتنظيم الإقليم الصحراوي مؤقتاً تتضمن ما يلي:

البند الأول: في انتظار التقنين النهائي لإقليم الصحراوي فلابد من إنشاء إدارة ملحقة للشؤون الأهلية بحيث تكون متصلة بقائد ناحية الجزائر بالمنيعة ومنطقة توات والى الناحية الوهرانية بالنسبة لمنطقتي زوفانة ومنطقة الساورة.

البند الثاني: إنشاء ملحقات في عين صالح وفي إيقلي تتضمن تعيين (ضابط للشؤون الأهلية برتبة نقيب، نائب برتبة نقيب أو ملازم، مترجم، خوجة).

البند الثالث: القادة (القياد) لإدارة شؤون الأهالي يتم تعيينهم من طرف رئيس الملحقة.

البند الرابع: يُكلف الجنرالات ناحيتي الجزائر ووهران بتنفيذ هذا القرار.

وهذا وقد تم تعيين النقيب دوسوسيال لملحقة عين صالح، والنقيب "نوشاز" لإيفلي والنقيب "بان" لورقلة[2].

- **التنظيم الإداري بالجنوب الصحراوي من 1900 إلى غاية1947م** : بعد أن توسع الاحتلال الفرنسي جنوباً ليشمل رقعة من الصحراء الجزائرية ظهرت الحاجة الماسة إلى إنشاء وحدة إدارية جديدة لهذه المناطق التي أصبحت تتطلب مبالغ متزايدة لتغطية نفقات الاحتلال بها، حيث كانت النفقات الباهضة التي استنفذت في تمويل الحملة العسكرية لاحتلال "تيديكلت" و"توات" أثقلت كاهل ميزانية الجزائر وأفلتت كل الرقابة[3] هذا من جهة ومن جهة أخرى صَّد المقاومات بفرض إضعاف هذه المواجهة الشعبية المستمرة، لذا أصدرت الإدارة الفرنسية مرسوماً بتاريخ 24ديسمبر1902م ينص على بقاء المنطقة الصحراوية منطقة

[1]- الهادي درواز، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع**، دار هومة، ط1، الجزائر، 2007، ص33.

[2]- مياسي، **توسع**...، المرجع السابق، ص .ص(133، 134).

[3]- مياسي، **قبسات**...، المرجع السابق، ص160.

خاضعة للنظام العسكري حيث عُين عليها القائد العسكري "لابيرين" الذي اتخذ من مدينة عين صالح مركز قيادته العسكرية.[1]

وكان من بين القوانين التي صَدرت عن السلطات الفرنسية قانون14 أوت1902م الذي أنشأت بموجبه المناطق الجنوبية وحدودها ووضعها القانوني والعسكري، وحُددت ميزانيتها بقانون 30ديسمبر1903م وحُددت إدارتها بقانون 4أوت 1904م ولكن القانون الإداري لم يتم سوى في 5أوت 1920م[2] وبهذا أصبح الجنوب أقليماً جزائرياً له نفس السياسة والقوانين وهو ما أبقى للبلاد وحدتها السياسية[3] بين الشمال والجنوب ويتجلى ذلك من خلال التمثيل النيابي سواء في الجمعية الجزائرية أو في البرلمان الفرنسي، وكان تمثيل أراضي الجنوب في الجمعية الجزائرية أما في البرلمان الفرنسي فكان تمثيل الجزائر بشطريها الشمالي والجنوبي، [4] خصوصاً وأن قانون24 ديسمبر 1902م قد أقرَّ وحدة الأراضي الجزائرية لهذا فقد أُخضعت أراضي الجنوب لنفس الرسوم والضرائب كأي جزء من الجزائر[5]، وهكذا بمقتضى قانون 1902-1903-1905م تعُد أراضي الجنوب في نظر السلطات الاحتلال مستعمرة خاصة لها إدارتها ولها ميزانيتها المالية وأملاكها.[6]

وللمزيد من سياسة التسلط وضبط تلك التنظيمات الإدارية والعسكرية والتحكم فيها أكثر أصدرت الإدارة الفرنسية مرسوماً أخر بتاريخ 23ديسمبر 1909م ومنذ ذلك الحين وبمقتضاه أصبح الجنوب تابعاً مباشرة لسلطة ووصاية الحاكم العام في منطقة الشمال، وقد نص المرسوم على تقسيم الجنوب إلى أربع مقاطعات[7] إدارية منفصلة عن بعضها البعض[8] وهي: (مقاطعة عين الصفراء ومقر حاكمها العسكري منطقة منطقة عين الصفراء، مقاطعة الواحات ومقر حاكمها العسكري مدينة عين صالح، مقاطعة غرداية ومقر حاكمها العسكري مدينة الأغواط، مقاطعة تقرت ومقر حاكمها العسكري مدينة بسكرة[9]).

وكانت كل مقاطعة أو منطقة من هذه المناطق يرأس قاعدتها ضابط عسكري برتبة رائد "كمومندون" وهو المسؤول العام عسكرياً وإدارياً أمام الوالي العام. كما قُسمت هذه المناطق (المقاطعات)إلى دوائر

---

[1].- مريوش، **السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية مابين (1900-1930م)**، "مجلة المصادر"، ع20، السداسي الثاني2009م، ص194.

[2]- المركز الوطني للدراسات والبحث...، المرجع السابق، ص .ص(219، 220).

[3]- محمد البجاوي، **الثورة الجزائرية والقانون (1960-1961م)**، دار الرائد، الجزائر، 2005م، ص. ص(299، 300).

[4]- المركز الوطني للدراسات والبحث...، نفسه،ص39.

[5]- البجاوي، نفسه، ص300.

[6]- الهادي درواز، المرجع السابق، ص33.

[7]- مريوش، نفسه، ص195.

[8]- المركز الوطني...، نفسه، ص220.

[9] - Charles lu Taud ; **Le Gouverneur Général**, expose sur la situation général du territoire de l'Algérie, Alger, 1912,p04.

وملحقات كالتالي: (منطقة تقرت بها مركز أولاد جلال وملحق بسكرة وتقرت وواد سوف، منطقة الواحات وبها ملحقة الجلفة، الأغواط، غرداية، مركز المنيعة، منطقة عين الصفراء وبها ملحقة المشرية، البيض، عين الصفراء، بني ونيف بشلوا، توات)[1].

أما عن البلديات المختلطة فلقد بدأت السلطات الاستعمارية الفرنسية بإنشاء ما يُعرف بالبلديات المختلطة في كل من الأغواط، الجلفة، بسكرة، تقرت، [2] المشرية، عين الصفراء. لهذا فإن البلديات المختلطة في في الجنوب هي 7 بلديات وهناك بلديات أهلية communes indégenes وهي عادة ما تكون خاصة بقبائل الجنوب وكل بلدية يحكمها "قائد" يشرف على القبيلة كاملة تحت إشراف رائد البلدية المختلطة للملحقة ويدعى آغا أو الباش آغا[3]، وقد أوكلت مهمة الدفاع وحفظ النظام في الجنوب للقوات العسكرية وعُين لكل منطقة بالجنوب قائداً عسكرياً له سلطة الإدارة كما تطرقنا إليه سابقاً، أما فيما يخص الميزانية فيتم وضعها من طرف الحاكم العام للجزائر غير أن هذا النظام شهد بعض التعديلات ليحقق التجانس الإداري في كافة القطر الجزائري فتَّم نقل سلطات البلديات المختلطة من أيدي الضباط العسكريين إلى حكام مدنيين.[4] وقد كلفت وزارة الداخلية وتحديداً إدارة الشؤون الجزائرية بإدارة إقليم الصحراء وبقية نواحي الجزائر[5]، وبهذا التقسيم الجديد حكم الاستعمار الفرنسي إقليم الجنوب الجزائري بيد من حديد وانتهج في ذلك طرقاً شتى منها وسائل الترغيب والترهيب، كما سطر لذلك العديد من مشاريع الاستثمار لاستغلال المنطقة بشرياً واقتصادياً والتحكم أكثر في رقاب سكان الصحراء[6].

والملاحظ من خلال التنظيم الإداري للجنوب الجزائري أن هناك اختلاف في نظام الحكم حيث أن مناطق الشمال نظام حكم مدني، أما الصحراء فحكمها عسكري واستمر إلى غاية 1947م غير أنه لا يوجد ما يميز الصحراء عن بقية أنحاء التراب الوطني. لكن مع حلول سنة 1947م بدأ الوضع يتغير خاصة بعد صدور دستور الجزائر في 20 سبتمبر 1947م والذي كان له انعكاسات مباشرة على الوضع الإداري للجنوب الجزائري خصوصاً فيما يتعلق بإعادة تنظيم ولايات الجنوب الكبير التي كانت منذ 1930م عبارة عن ولايات وأجزاء مندمجة في الولايات الكبرى الشمالية[7].

ب. التنظيمات العسكرية بالصحراء الجزائرية:

أولاً: أسباب إخضاع أراضي الجنوب للنظام العسكري:

[1]- درواز، المرجع السابق، ص. ص (33، 34).

[2]- المركز الوطني...، المرجع السابق، ص39.

[3]- نفسه، ص39.

[4]- نفسه، ص221.

[5]- عريق ، المرجع السابق، ص35.

[6]- مريوش، **السياسة الفرنسية**...، المرجع السابق، ص. ص(195، 196).

[7]- المركز الوطني...، نفسه، ص40.

1- الأسباب القريبة: وهي تتعلق خاصة بصعوبة التغلغل داخل المناطق الجنوبية مما جعل النظام العسكري أمثل النُظم لتحقيق مواصلة الاحتلال من عدة جوانب:

1- من جانب المناطق المتاخمة للمناطق الصحراوية حتى لا تفكر في مساعدة المقاومات الشعبية ضد الغزو الفرنسي.

2- من جانب هذه المناطق نفسها لجعلها دائماً تحت مراقبة الحاميات الفرنسية القريبة، إذ أن الخوف كان في أواخر القرن الماضي من مناطق لأوراس خاصة في الشرق ومناطق الجنوب الغربي.

3- أن المعمرين في الجزائر رفضوا أن ينفق من الميزانية على أراضي الجنوب واعتبروا ذلك من صلاحيات الحكومة المركزية.

2- الأسباب المحيطة:

تدهور الأوضاع الدولية في المنطقة وذلك على النحو الآتي:

- أن معاهدة برلين 1898م والتي أفرزت تقسيم أفريقيا كانت فرنسا تقرر للدول العظمى أن الصحراء من البلدان الخالية.

- أن الصراع بين بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا كان على أشّده في الغرب، فخشيت فرنسا أن يتنقل الصراع إلى الصحراء الجزائرية.[1]

- سعت فرنسا إلى تعزيز تواجدها الاستعماري بالمنطقة لذلك عملت الحكومة الفرنسية بكل ما تملك من إمكانيات لإبعاد خطر منافسة بريطانيا في التوغل داخل الصحراء الجزائرية، لاسيما بعدما كان آنذاك محاولات التوسع الانجليزية – الإسبانية – الألمانية في الصحراء بُغية تكوين إمبراطوريات وعليه لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق فرنسي- انجليزي يوم 5أوت 1890م يجعل كل أراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية[2]، وكان كل هذا من أجل أن تربط فرنسا بمستعمراتها في جنوب الصحراء بينها وبين الصحراء الجزائرية، فحرصت على وجود الجيش الفرنسي بكثافة تحسباً لكل طارئ.[3]

ثانياً: **إخضاع الصحراء للحكم العسكري**: أخضعت الصحراء الجزائرية بعد ذلك للحكم العسكري فكان أول شيء قامت به الحكومة الفرنسية في مناطق الجنوب إلى جانب التنظيمات العسكرية هو تعزيز تواجدها في المنطقة لتكمل قبضتها على الصحراء التي طالما أرادت ذلك. ففي عام 1844م أصدر البرلمان الفرنسي قرار يقضي بتقدم قواته نحو الجنوب وإنشاء مراكز عسكرية في المناطق الإستراتيجية لتتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة وبسط نفوذها على الشريط الواقع ما وراء الأطلس الصحراوي من جهة أخرى.[4]

---

[1]- المركز الوطني...، المرجع السابق، ص. ص(218، 219).

[2]- رضوان شافو، **المقاومة الشعبية**...، المرجع السابق، ص. ص(1-10).

[3]- المركز الوطني...، نفسه، ص219.

[4]- شافو، نفسه، ص. ص(1-10).

وتفيد المصادر التاريخية أن الحكم العسكري الفرنسي في الصحراء إلى قلة وندرة طبقة المعمرين الضاغطة بالإضافة إلى رغبة فرنسا في تكوين حزام أمني يكون بمثابة قواعد انطلاق نحو أعماق الصحراء والتي وضعتها من خلال القوانين سنوات 1902-1903-1905م وفي وضع خاص إذ يحكم كل منطقة من المناطق قائد عسكري، وقد جاء هذا بإقتراح من الحاكم العسكري ووزير الحربية الفرنسيّين[1]، هذه القيادات العسكرية التي كانت تحكم المناطق العسكرية كانت تعتمد على المكاتب العربية للتحكم في الناس وفي ممتلكاتهم وهي التي تقرر ما تراه مناسباً وملائماً للمعمرين الموالين للسلطات العسكرية حيث كانت قيادة الجيش تصادر بكل سهولة جميع الأراضي التي هي ملك لكل عرش بدعوى أنها تفوق كل احتياجات السكان وتقوم بتوزيعها على المعمرين المتلهفين للاستيلاء على ثروات الجزائريين.[2]

ثالثاً: **التنظيمات العسكرية**: كلفت وزارة الحربية الفرنسية النقيب "بول آزان" بمراقبة الحدود الجزائرية المغربية أواخر سنة 1906 ومطلع السنة1907فقد تفقد هذه المناطق وخاصة الحدود الجنوبية إذ أنه تحدث عن صدى مؤتمر الجزيرة "بفيقيق وقيروا" إضافة إلى ذلك تحدث عن التنظيمات العسكرية التي كان يقوم بها "ليوتي" في الجنوب الوهراني ومنها إنشاء نقاط مراقبة في "بشار وفرطاسة" لضمان الأمن في "زوزقانة وقيروشط تقري"، وعلى اثر ذلك قدم الجنرال "ليوتي" المحافظ الأعلى [3]في 7ديسمبر 1908م تقرير إلى رئيس المجلس يتضمن برنامجه الشامل للتنظيم الذي يستند إلى اتفاقيات (1901-1902م) بين فرنسا والمغرب والذي سوف ينشر الأمن والاستقرار على الحدود، أما في مجال التنظيم الجمركي يؤكد الأخصائيون أن أراضي الجنوب تماثل في وضعها باقي الجزائر وقد أدخل النظام العسكري المقرر لمناطق الجنوب بعض التعديلات لتحقيق التجانس على كافة القطر الجزائري[4].

[1]- كديدة، المرجع السابق، ص18.

[2]- بوحوش، المرجع السابق، ص240.

[3]- المركز الوطني...، المرجع السابق، ص241

[4]- نفسه، ص39.

الفصل الرابع

سبل ووسائل الإخضاع الاقتصادية والاجتماعية الفرنسية بالصحراء

- المخططات والمشاريع الاقتصادية الفرنسية في الصحراء
- سياسة ضرب البنية الاجتماعية لمجتمع الصحراء الجزائرية

1. المخططات والمشاريع الاقتصادية الفرنسية في الصحراء:

إن الدارس لتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر سيقف مذهولاً أمام الجرائم إلى ارتكبتها فرنسا في حق الشعب الجزائري وسيتضح جلياً أن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة1830م لم تكن صفعة عابرة لتأديب الداي حسين و لم تكن هذه الحملة العسكرية بعدتها وعتادها بعثة من أمة راقية لنشر حضارتها أو تشييد العمارة عبر ربوع القطر الجزائري، و لم تكن جحافل الغزاة الفرنسيين طلائع فتح لتحرير الجزائر من أغلال الحكم العثماني حسب ما سَوغ له قادة هذه الحملة، بل إن الأمر أبعد من ذلك بكثير وهو الأمر الذي بدأت تتضح معالمه عقب احتلال مدينة الجزائر، فبعد تمكن قوات الاستعمار من السيطرة على هذه المدينة والمناطق التلية ورغم المقاومة الشديدة التي واجهها[1] وبعد أن تمكنت قواته من بسط نفوذها على هذه الأخيرة بدأت أنظارها تتجه جنوباً[2] قصد استكمال سيطرته على كامل القطر الجزائري وتطبيق مشروعها الذي كانت تزعم أنها جاءت من أجله لكن في حقيقة الأمر كان هذا المشروع تعويضاً لفرنسا على ما خسرته خلال القرن18م في مستعمراتها بأمريكا والهند بعد صراعها مع انجلترا، حيث اعتبرت الجزائر أقرب بديل لها على ما فقدته خصوصاً وأن الجزائر قريبة منها جغرافياً ولها موارد طبيعية وافرة وسوق تجارية واعدة[3] ناهيك عن مساحتها التي تُشكل الصحراء جزءها الأكبر، فكان بذلك الاهتمام بهذا الإقليم الذي تحدث عنه أحد قادة الاحتلال الماريشال "سولت" في تقرير قدمه لملك فرنسا يشرح فيه أهمية الصحراء الجزائرية سواء من حيث الأهمية الإستراتيجية أو التجارية، وقد جاء في تقرير ما يلي: «يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال صنفاً ثالثاً من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين ولا تطأها الجيوش إلاَّ بفرض قمع الفوضى أو الإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية وتوسيعها، وهذه المناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة.»[4]، إنّ هذا التقرير خير دليل على الأبعاد التي حملها مشروع فرنسا الاستعماري للجزائر أولاً ثم لأفريقيا ثانياً، وقد عملت السلطات الفرنسية بكل ما لديها من وسائل وإمكانات لإخضاع هذا الإقليم، ومن خلال تتبعنا لحركة التوسع الفرنسي بالصحراء الجزائرية في جوانبها المختلفة خصوصاً على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي توصلنا إلى أن الفرنسيين اعتمدوا على عدة سُبل ووسائل من أجل إخضاع الصحراء الجزائرية خلال القرن 19م. لقد كان التوسع الجغرافي خارج أوربا من بين الأسباب التي دفعت بالأوربيين إلى استعمار دول أخرى بحثاً عن أقاليم جديدة لنهب خيراتها واستنزاف

---

[1]- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية ج1 (1830-1900م)**، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، لبنان، 1992م، ص138.

[2]- شهرزاد شلبي، **الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية**، "دورية كان التاريخية"، ع11، مارس2011م، ص. ص(84،85).

[3]- أعلية علاني، **الكتب المدرسية التونسية وإشكالية إعادة كتابة تاريخنا المغاربي**، مقال منشور على الموقع الرسمي لجامعة 20أوت 1955م، جامعة سكيكدة، الجزائر.

[4]- نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص. ص(384،385).

مواردها[1] وكذا بحثاً عن أسواق لتسويق منتجاتها وعن مساحات لنقل فائض سكانها. وهو الأمر الذي طبقه الفرنسيون على الجزائر فكان البحث عن الثروة من أهم الدوافع التي أدت بفرنسا لاحتلال الجزائر كمدينة أولاً ثم باقي البلاد بما فيها الصحراء التي خضعت للسيطرة التدريجية للفرنسيين وبعد مقاومة عنيفة لأهلها، لقد سعت قوات الاحتلال وسلطاته منذ تقدمها في الجزائر إلى القيام بدراسات شاملة للمنطقة أعدتها بعثات علمية واستكشافية من أجل الاستفادة من هذا الفضاء الشاسع لتحقيق اهتماماتهم التي تمركزت حول ثلاثة محاور على حد تعبير الدكتور يحي بوعزيز وهي:

أولاً: الغزو والتوسع الاستعماري والتعرف على هذا المحيط الواسع ومن الرمال الصفراء بواحاته الخضراء الشاسعة المتناثرة هنا وهناك. والتعرف على إمكانات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها واكتشاف المظاهر الجغرافية والموارد المائية.[2]

ثانياً: جاء كنتيجة للمحور الأول وجاء لخدمته وتدعيمه من خلال وضع شبكة من الطرق والمواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف لتسهيل سُبل التنقل في ظروف آمنة .

ثالثاً: محاولة خلق بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء.[3]

إن تجسيد هذه المحاور جاء لخدمة أهداف الاحتلال الأساسية، فعلى الصعيد الاقتصادي كان الهدف الرئيسي للاحتلال في الصحراء هو السيطرة على الموارد الطبيعية وطرق التجارة والقوافل وإنشاء مشاريع تخدمه، في حين كانت الإستراتيجية تهدف إلى تفقير الشعب الجزائري والحد من نشاطه الاقتصادي واستنزاف ثرواته وإجباره على التخلي عن أرضه والتجَّند في خدمة المعمرين أو الهجرة إلى مناطق أخرى بحثاً عن لقمة العيش، ومن هنا يمكننا تصنيف المشاريع والمخططات الاقتصادية الفرنسية بالصحراء إلى مشاريع المنفعة الاستعمارية، ومخططات إضعاف الاقتصاد المحلي للمجتمع الصحراوي الجزائري.

أ. مشاريع المنفعة الاستعمارية:

بعد احتلال فرنسا لبسكرة سنة 1848م بدأت الإدارة الاستعمارية في إعداد وانجاز عدة دراسات علمية وتجارية، أدت إلى تزايد الطموح الفرنسي التوسعي نحو الجنوب خصوصاً وأن الفرنسيين يعتبرون الصحراء ملجأ للفارين من الثوار لذا وجب ملاحقتهم و القضاء عليهم، وعلى حد تعبير "أندري مارتال" فأمن

[1]- عبد الغني بوزيتون ، **المسح العقاري في تثبيت الملكية العقارية في التشريع الجزائري**، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م، ص20.

[2]- بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص318.

[3]- نفسه، ص318.

الجزائر ضروري والشرف العسكري يجبرنا على التقدم دائماً بعيداً لوقف المحرضين والمهربين الناشطين عبر الصحراء، ملكية فرنسا الجديدة بالإضافة إلى ذلك هناك عوامل اقتصادية أخرى حركت الفرنسيين الذين سيسعدون بالسيطرة على التجارة الصحراوية.[1] إن هذا التعبير لخير دليل على المطامح الفرنسية في تحقيق الثروة من خلال المشاريع التي تّم التخطيط لإنجازها هناك والتي يمكن التطرق إلى أبرزها على النحو التالي:

● **البحر الداخلي**: لقد أدت الظروف الطبيعية القاسية للصحراء بالفرنسيين إلى البحث عن وسائل تُمكنهم من التأقلم مع هذا الإقليم، فكان الهدف هو إحداث تغيير جذري في الظروف المناخية القاسية[2] للصحراء وتوصلت الدراسات العديدة التي قام بها المختصون الفرنسيون إلى مشروع عُرف "بالبحر الداخلي" "Mer Intérieur" هذا المشروع الذي طرحه النقيب "فرانسوا إيلي روادير" "françois Elie Raudair" (1836-1855م) كمرة أولى وأيده" فرديناند دلسبس" "Ferdinand de lesspes" (1805-1894م) كمشروع قابل للإنجاز وكان الهدف من المشروع إعادة إحياء المنطقة الشبه الصحراوية بنواحي بسكرة انطلاقاً من البحر الأبيض المتوسط عبر "قابس" التونسية حيث بدأت فكرة المشروع تتطور تدريجياً خصوصاً مع التطور العلمي والطبوغرافي والجيولوجي إلاَّ أن المشروع لقي معارضة شديدة من قبل المختصين في البيئة والاقتصاد، فالطرف الأول رُوج لفكرة استحالة إنجاز هذا المشروع لأنه يسحب مياه البحر المتوسط إلى الجنوب ما قد يتسبب في عودة أوربا إلى العهد الجليدي بعد أن تنخفض درجات الحرارة في الصحراء، أما الطرف الثاني فقد أكد على ضرورة عدم صرف أموال باهظة على المشروع الذي قدرت تكلفته آنذاك زهاء مليار فرنك فرنسي لذا قررت اللجنة البرلمانية الفرنسية المختصة إلغاء تنفيذ المشروع رغم محاولات الإقناع العديدة التي قدمها أصحاب هذا المشروع، وللإشارة فقد تم بعث فكرة المشروع قبل استقلال الجزائر مابين (1957و1958م)، كما تّم التطرق إليه بعد الاستقلال مجدداً بين الحكومة الفرنسية والتونسية[3]، إن تفاصيل هذا المشروع والدراسات المنجزة حوله والحيز الزمني المخصص للدراسات يدل على أهميته سواء من الناحية الايكولوجية أو الاقتصادية بحيث سيسمح بفتح قناة نقل بحري إلى أعماق الصحراء كما يساهم في زيادة المداخيل الاستعمارية من خلال سهولة التبادل التجاري وحجم المبادلات وكذا تنشيط الحركة السياحية ودعم الاستيطان بالصحراء من خلال توافد الأوربيين إلى هناك بعد تغير المناخ الصحراوي وهو الهدف المسطَر لهذا المشروع.□

[1]- شلبي، المرجع السابق، ص75.

[2]- للاطلاع أكثر على تفاصيل المشروع يُنظر أعمال الهيئة الفرنسية للتاريخ والجيولوجيا،

Hocine Ben Djedou, Réne Létolle**, Comité Française D'histoire De la Géologie**, 3eme seus, T1999 séance 17mars, pp10,11.□

يُنظر للخريطة المرفقة حول المشروع

[3] - Général A. Bellot, **La Carte de M'empire Colonial Français**, géonges Lang impumeur, Paris, 1931, p24

● **مشاريع السكة الحديدية:** تعتبر وسائل النقل أحد الشرايين الهامة التي تساهم في حركية اقتصاد الدول بما توفره من تدفق السلع والأشخاص، وتقلص المسافات من خلال تقليص مدة التنقل. ولعل من أبرز وسائل النقل التي عرفها الإنسان القطارات وسكك الحديد والتي نَشط استخدامها في العديد من الدول حتى وصل الأمر إلى مد خطوط عابرة للقارات على غرار الخط العابر لكندا المعروف باسم"Canadi an paci f i que"، وقد تّم إنجازه مابين (1878-1886م) على مسافة 4000كيلومتر وكذا الخط العابر لسيبيريا المنجز في الفترة مابين(1891-1898م) وعلى مسافة 7500كيلومتر، إن نجاح هذه الخطوط دفع بالفرنسيين إلى التفكير في إنجاز خط عابر للصحراء على شاكلة الخطين السابق ذكرهما، وعلى ضوء تجربة الآخرين تمت بلورة فكرة المشروع التي تعود للمهندس "دي دو بون شال"[1] الذي قدم أولى الدراسات للمشروع سنة1874م والتي أشار من خلالها إلى إمكانية فتح خط للسكة الحديدية يسمح لفرنسا والجزائر بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على تجارتها[2]، كما كان الهدف من هذا المشروع هو منافسة الخط الانجليزي الرابط بين الكاب[3] والقاهرة. هذا المشروع الذي كان حلم أصحاب القرارات والرأسماليين منذ القرن 19م يهدف إلى ربط أفريقيا الشمالية انطلاقاً من الجزائر والسودان الفرنسي عبر خط للسكة الحديدية ثم المستعمرات الفرنسية، ففكرة الربط بين أفريقيا الشمالية والسودان الفرنسي كما سبق الإشارة إليه ظهرت في النصف الثاني من القرن 19م إذ تحدثت التقارير المنجزة من قبل وزارة المستعمرات والحاكم العام للجزائر عن مشروع ضخم هدفه ربط الجزائر بالهقار مروراً بوسط الصحراء، [4] ويأتي هذا المشروع تكملة لمشاريع السكة الحديدية التي أنجزت في شمال الجزائر وفق القرار الملكي الصادر بتاريخ 3أكتوبر1858م المتمم للقرار المؤرخ في 8أفريل 1857م المتعلق بإنشاء خطوط للسكة الحديدية في شمال الجزائر والذي نص على قبول المشاريع الأولية والتصاميم المقدمة من طرف وزارة الطرق والجسور.[5]

إن نجاح المشاريع المبرمجة في شمال الجزائر أدت بالمهندس "دي دو بون شال" إلى الانتقال إلى الجزائر من أجل القيام بالدراسات وجمع المعلومات التي كانت محل اهتمام الحكومة الفرنسية فقامت هذه الأخيرة بتجهيز برنامج كبير للأشغال العمومية من أجل التدقيق في حيثيات انجاز هذا المشروع من السكة الحديدية العابر

[1]- هو السيد أدولف دو بون شال ولد في فلوراك سنة1821م، مهندس أول للجسور والطرقات نشر عدة أعمال هامة تحتوي على أفكار أصيلة وممتازة، أظهر فيها براعة كبيرة ومن أهم أعماله كتابه حول مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء.

[2]- مياسي، **الاحتلال الفرنسي**...، المرجع السابق، ص437.

[3]- الكاب: منطقة تاريخية بجنوب أفريقيا وكانت واحدة من مستعمراتها الأربع في مقاطعات في الفترة مابين 1910-1994م ومنذ عام 1994م قسمت إلى ثلاث مقاطعات مقاطعة الكاب الغربية والكاب الشرقية والكاب الشمالية وهي غنية بالماس الذي يعتبر من أفضل الأحجار الكريمة في العالم...، للمزيد. يُنظر، منتدى الأرشيف التاريخ العالمي والإسلامي، **مستعمرة الكاب...التاريخ لمن لا يعرفه**، ص ص1،2.

[4] - Haddad Zranssahauen, **Projet économique Ou Mirage Colonial ?,** Revue Seinces Humaines, nb16 embre2001, Université Mentouri , Constantine, Alger, p37.

[5] - Bultein Officiel de **L'Algérie Et Des Colonies**, volum1, livre numérique, 1859,pp176,177.

للصحراء هذا الأخير الذي شكلت لأجله لجنة تحضيرية من أجل التعرف على أرضيته. وبتاريخ12 جويلية1879م قدم وزير الأشغال العمومية "دي فرايسنه" تقريره الذي شّد انتباه رئيس الجمهورية للفرصة السانحة لتمّكن فرنسا من التوغل في الصحراء الجزائرية، [1] وبهذا شكلت ثلاث بعثات لدراسة المشروع الذي خُصص لدراسته آنذاك مقداره ثلاثة مليون فرنك ذهبي. [2] وقد قامت البعثات الثلاث بإعداد التقارير وجمع المعلومات اللازمة لتحقيق المشروع الذي يعود فيه الفضل ل" دي بون شال" الذي أقنع البرلمان الفرنسي للمصادقة على مقترح لثلاث خطوط رئيسية من السكة الحديدية لهذا المشروع الذي كاد يتوقف بعد القضاء على أفراد البعثة الثالثة بقيادة فلاترس، [3] ومما تجدر الإشارة إليه هو الدور الذي قام به الكاردينال لافيجري بعد هذا الحادث من دعم ومساندة للمشروع حيث استطاع إقناع رجال الأعمال الأوربيين والفرنسيين المترددين حول إنجاح هذا المشروع وكذا الأرباح التي ستعود عليهم من خلال تسويق منتجاتهم نحو الأسواق الأفريقية وكذا من خلال جلب المواد الأولية لمصانعهم، وللإشارة فقد تّم الشروع في خطط السكة الحديدية عبر شمال الجزائر تدريجياً وفق ما يخدم المصالح الفرنسية حيث روجت الدوائر الفرنسية الاستعمارية إلى أهمية دخول القطار إلى المناطق الداخلية لأنه سيحقق التطور الاقتصادي والاجتماعي. والجدول [4] التالي يوضح أهم الخطوط المقترحة للإنجاز بالجزائر:

الخط الرئيس	المسافة	الخط الفرعي	المسافة	نوع الخط(الطريق)
الجزائر – وهران.	426كم	خط فرعي نحو عين تموشنت سيدي بلعباس–تلمسان–رأس الماء.	70كم 215كم	عادي
الجزائر – قسنطينة.	452كم	خط فرعي نحو تيزي وزو // // بجاية. // //باتنة–بسكرة.	53كم 88كم 201كم	عادي
قسنطينة– قالمة– الحدود التونسية.	253كم	خط فرعي نحو عنابة. خط فرعي نحو عين مقرة.	55كم 33كم	عادي
المجموع		–	**1933كم**	
أرزيو–عين الصفراء/بني ونيف.	640كم	–	–	صنف1.05 م
مستغانم – تيارت.	202كم	–	–	//
وهران – أرزيو.	43كم	–	–	//
البليدة – البرواقية.	83كم	–	–	//
أولاد رحمون –عين البيضاء.	93كم	–	–	//
سوق أهراس – تبسة.	128كم	–	–	//
المجموع	1189كم	–	–	–

[1]– مياسي ، المرجع السابق، ص438.

[2]– سرير،المرجع السابق، ص110.

[3]– شلبي، المرجع السابق، ص 84.

[4] - Les Chemins De Fer Africains, **In Annales de Géographie**, 1904, T13, n°72, p429.

للإشارة أن ملكية هذه الخطوط تعود للشركات الخاصة باستثناء خطوط أرزيو، عين الصفراء، مستغانم، تيارت اللذان تّم شراؤهما سنة1900م من طرف الحكومة الفرنسية متمثلة في الشركة العامة الفرنسية[1] الجزائرية compagnie franco algérienne وخط عين الصفراء وبني ونيف الذي تّم انجازه من قبل الدولة الفرنسية، وبعد أن عممت خطوط السكة الحديدية على مختلف النواحي الشمالية للجزائر خلال القرن 19م تفرغت السلطات الاستعمارية لمشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء الذي ظهر على ثلاث محاور[2]: (الخط الشرقي عبر غدامس- خط الوسط من ورقلة وأمقيد نحو مرفق النيجر أو بحيرة تشاد 2600كم- الخط الغربي عبر توات(من إيقلي، توات، مرفق النيجر على مسافة2700كم)، إن كل من هذه المحاور التي تمت حولها مناقشات للإنجاز يتمتع بميزات وسلبيات خصوصاً وأن منها أجزاء تمر خارج التراب الجزائري، إلاّ أن هذا دليل على الأهمية التي تُوليها السلطات الاستعمارية لهذا المشروع الذي أصبح من أولوياتها في الجزائر لأنه يستجيب لحاجاتها في إقامة طرق ووسائل اتصال سريعة كفيلة بتحقيق أهدافها العسكرية والمدنية بالجزائر[3]. أما الملاحظات الذي يمكن تسجيلها بخصوص هذه المشاريع فهي أولاً أنّ:

- ما تّم إنجازه من شبكات للسكة الحديدية التي وصلت إلى بسكرة وعين الصفراء إنما كانت لخدمة المصالح الاستعمارية لا غير.
- أن تمويل هذه المشاريع كانت على حساب الجزائريين الذين تحّملوا أعباء هذه المشاريع من خلال الضرائب المرتفعة والمتنوعة.
- أن هذه المشاريع أنجزت بسواعد الجزائريين الذين تّم استغلالهم كيد عاملة زهيدة الأجر أو سجناء في إطار الأعمال الشاقة.
- أن هذه المشاريع أدت إلى نزع الملكيات العقارية للجزائريين دون تعويض يُذكر كما ساهمت هذه المشاريع في نهب ثروات البلاد.

فبالإضافة إلى البحر الداخلي ومشاريع السكة الحديدية سعت السلطات الاستعمارية إلى تجسيد مشاريع عديدة تخدم مصلحتها حيث تركزت أساساً على:

- إنشاء شبكة خطوط الهاتف والتلغراف لربط مصالحها المختلفة.
- شق العديد من الطرق لتسهيل تنقل الوحدات العسكرية.
- إنشاء مناطق لإنجاز التجارب النووية العسكرية.

[1]- Annale de Géographie , IBID, p428.

[2]- مزيد حول تفاصيل المحاور. يُنظر، مياسي، **التوسع الاستعماري**...، المرجع السابق، ص. ص (442،441).

[3]- قرين، المرجع السابق، ص33.

- تشجيع المستثمرين على التواجد بالصحراء والاستثمار بها على غرار شركة النقل "سيطروان" وشركة الاسمنت "لافارج" وبروز مجموعات مثل مجمع "باستوس" الذي احتكر صناعة وتجارة التبغ، ومجمع "بورجو" الذي احتكر أيضاً الاعتمادات العقارية وغيرهم من المعمرين الذين سيطروا على الجهاز الحكومي والهيئات الاقتصادية.□
- السيطرة على المناجم والتعدين والتجارة[1].□

□

ب. مخططات إضعاف الاقتصاد المحلي للمجتمع الصحراوي الجزائري:

تناولنا في سابقاً المشاريع والمخططات التي استهدفت تقوية الاقتصاد الفرنسي وخدمة مصالح المعمرين في الشق الاقتصادي، وسنحاول في هنا تناول المخططات التي استهدفت المجتمع الجزائري بالصحراء وكان بذلك ضحية لها. فالتوغل داخل الصحراء الجزائرية جاء بدافع تحقيق المصالح والرغبات في التوسع المعبر عنها من طرف الساسة وكذا لتحقيق طموحات المستوطنين في التوسع. وكان هذا الأخير في الصحراء عبر ثلاث مراحل: المرحلة الأولى (1844-1890م) والمرحلة الثانية (1890-1912م) والمرحلة الثالثة (1912-1945م)[2]حيث شهدت الفترة الأخيرة استغلال فادح للثروات الصحراوية وعلى غرار باقي الأراضي الجزائرية التي تّم احتلالها تدريجياً فقد خضعت الصحراء إلى مختلف القوانين والسياسات الاستعمارية الاستيطانية مع الإبقاء على الصحراء تحت الحكم العسكري، الذي لم يدخر جهداً في محاولة إخضاع الجزائريين وتجويعهم وتفقيرهم وسلبهم أراضيهم وحرمانهم من المساهمة في الحياة الاقتصادية[3]. ومن أهم المخططات المتبعة لتنفيذ هذه السياسات نجد:

● **مصادرة الأراضي**: لقد حاولت الحكومة الفرنسية إيجاد وسيلة أخرى تمكنها من الاستغلال الأمثل للثروات الصحراوية إلى أن يحين الوقت لإنجاح مشاريع السكة الحديدية وهنا يلجأ رجال الأعمال والمستعمرين إلى إتباع وسيلة المضاربات الفلاحية والسمسرة ومصادرة الأراضي الفلاحية الخصبة كالواحات ومناطق تواجد المياه، معتمدين في ذلك على الشركات التجارية الكبرى في شرارة الأراضي مثل ما قامت به شركة واد ريغ التي اشترت سنة 1878م ثلاث واحات رسمية عن طريق المزاد العلني وشركة باتنة التي حصلت على ثلاث واحات سنة 1882م، إن مثل هذه الأعمال ليست إلا عينات عن سياسة المصادرة المطبقة على الجزائريين والتي ارتكزت على مجموعة من القوانين والتشريعات أهمها ما نص عليها الفصل 109 من الدستور الفرنسي الجديد لسنة 1848م على أن□«الأراضي الجزائرية والمستعمرات هي جزء من الأراضي الفرنسية وسيتصرف

[1]- مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912م)**، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987م، ص165.

[2] - André Mortel, IBID, p344.

[3]- مياسي، **التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي**...، المرجع السابق، ص165.

فيها بمقتضى قوانين خصوصية إلى أن يصدر قانوناً يسمح بإدخالها ضمن نصوص الدستور الجاري العمل به»[1]، إلى جانب الدستور الفرنسي تّم الاعتماد على جملة من القوانين الصادرة لتسهيل عمليات المصادرة والحجز والبيع بالمزاد العلني وكذا بنقل أراضي الجزائريين إلى المعمرين، وكانت هذه القوانين عبارة عن ترسانة من التشريعات الاستعمارية التي تهدف إلى الظفر بالمحفظة العقارية من منطلق أن المنتصر عسكرياً يصبح منتصر اقتصادياً وهو الأمر الذي عبر عنه الجنرال "بيجو" بقوله: «إن احتلال الجزائر لا يكونوا إلا بالسيف والمحراث» ولعل من أبرز القوانين التشريعية التي استخدمت في سلب ونقل عقارات الجزائريين نجد:

§ **قانون 1844/10/1م** الذي عمل على تصحيح البيوع التي أبرمها الجزائريون لفائدة المعمرين بمجرد مصادقة القضاء الشرعي عليها□

§ **الأمر المؤرخ في 1846/07/21م** الذي يهدف إلى تسهيل الاعتراف بالملكية الخاصة بواسطة جهاز إداري على مستوى كل عمالة يدعى مجلس المنازعات. □ l e□consei l □[2] □cont ent i eux

§ **قانون 1851/06/16م** الملغي لأمرين السالفين الذكر، ومما جاء فيه تقسيم الأموال العقارية إلى عامة وخاصة وأخضع المعاملات التي يكون أطرافها أوربياً إلى القانون المدني الفرنسي، وأخضع أيضاً المعاملات بين الأهالي للشريعة الإسلامية.□

§ **قانون 1863/04/22م** المعروف ب l e□sénat us□consul t e أو القانون المشيَّخي[3] وجاء فيه تحديد أراضي الجماعية وحدودها للقبائل ثم توزيعها بين الدواوير[4]، حيث تّم تقسيم 372 قبيلة عبر الجزائر إلى 656دُواراً[5].كما حوَّل هذا القانون حق الاستغلال إلى حق ملكية تامة وبمعنى آخر قد مكّن هذا القرار من الفصل بين الأراضي الخاصة فردية كانت أو جماعية وأراضي البايلك والهدف منه الاستحواذ وتكسير تماسك المجتمعات الريفية والتي كانت القبيلة النواة الأساسية لها، وبعبارة أخرى سعى هذا القانون إلى تحقيق هدفين أساسيين هما: هدف مادي عن طريق تسهيل عملية انتقال الأملاك العقارية من الجزائريين إلى المعمرين وهدف اجتماعي ويتمثل في تفكيك النسيج الاجتماعي والترابط العائلي[6]. ومن أجل فرنسة الأملاك الجزائرية واعتبار جميع التشريعات الأخرى والأعراف ملغاة في حضور التشريع الفرنسي جاء

---

[1]- بوزيتون، المرجع السابق، ص21.

[2]- حمدي باشا عمر، **نقل الملكية العقارية**، دار هومة، الجزائر، 2002م، ص64.

[3] -**Statistique et Document Relatifs au Sénatus- Consulte sur la Proprieté arabe18,** Imprimerie Impérale, paris, p45.

[4]- عدة بن داهة، **الخلفيات الحقيقية للتشريعات العقارية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي(1830-1873م)**، في: أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص143.

[5]-بوزيتون، نفسه ،ص22.

[6]- محمد بغدادي، **المنازعات العقارية المتعلقة بأملاك الدولة والخواص**، في: الندوة الوطنية للقضاء العقاري، مديرية الشؤون المدينة، وزارة العدل، الجزائر، 1995م، ص106.

قانون 1873/07/26م المعروف بقانون وارني[1] le□ loi □warni er والذي نّص في عمومه على انتقال الملكية بحيث يجب أن يكون بمقتضى عقد، كما أن الاعتراف بالملكيات يكون في أعقاب إجراء تحقيقات ومعاينات يقوم بها محافظ التحقيقات (le□ commi ssai r e□ enquêt eur□).□

§ **قانون 1872/02/16م** وأهم ما نصّ عليه هو القيام بتحقيقات جزئية حول الملكية تسمح بتسليم سندات ملكية.□

§ **قانون 1926/08/14م** ونص على ضرورة التقليص من عمليات نزع الملكية .□

إن تطبيق هذه القوانين سمحت بتحول أملاك الجزائريين إلى الفرنسيين بعدة طرق كالطرد والبيع تحت الضغط والمصادرة وغيرها. حيث جاءت هذه الترسانة مخافة أساساً لمعاهدة الاستسلام المبرمة مع الداي حسين والتي نصّت على حماية الأملاك والأماكن المقدّسة، كما أن القانون 1926/08/04م جاء ليخفف من إجراءات نزع الملكية لكنه جاء في وقت متأخر لأن معظم الأراضي الصالحة تّم مصادرتها أو نقل ملكيتها للمعمرين أو الشركات الكبرى مثل الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر التي سيطرت على 24000 نخلة في الجنوب الجزائري[2].

● **السياسة المائية:** بعد تنفيذ السياسة الاستعمارية الخاصة بالاستيلاء على أراضي الجزائريين ومنحها للمعمرين كان لزاماً على السلطات الفرنسية السيطرة على الموارد المائية من أجل توفير الشروط المناسبة للمستوطنين حتى يتمكنوا من استغلال الأراضي الممنوحة لهم على حساب الجزائريين، وهو الأمر الذي عبر عنه "بيجو" بقوله: «.. أينما وجدت حياة صالحة وأراضي خصبة، فهنا يجب تثبيت الكولون». وقد عبر "جول ديفال" عن وجوب إتباع سياسة مائية في الجزائر وعلى القيام بأعمال تجفيف وشق القنوات وبناء السدود واختتم كلامه قائلاً: «يجب استخدام كل المجاري المائية لإنعاش الزراعة والصناعة». كما أورد "ماك ماهون" الذي أوصى بوجوب توفير الأراضي والطرقات والسدود والبحيرات للكولون. أما "ديمونتيس" فقال: «أمنحوني مياه صالحة للزراعة أمنح لكم أفضل مستوطنة..»[3]، وهكذا شُرع في استغلال المصادر المائية والتكم فيها فتّم الاستحواذ على الأراضي المروية في الشمال وبناء السدود كما أصدرت السلطات الاستعمارية مرسوماً بتاريخ 1865/04/22م نصّ على استغلال البحيرات المالحة واعتبرتها ملكية عامة أما في الجنوب

[1]– **وارني، فارني:** ممثل الجزائر في الجمعية العامة حيث تقَدم بتقرير وتّم التصويت عليه، تضمن هذا الأخير الترتيبات القاضية بتحديد ملكيات الشركاء وأفراد العشيرة وإنشاء الملكية الخاصة في الفصل الثاني من هذا القانون من المواد 08 إلى غاية 24.

[2]– دليلة رحمون، **السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر وأثرها على المجتمع الجزائري**، مذكرة ماجيستر، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013م، الجزائر، ص40.

[3]– عدة بن داهة، **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830–1962م)**ج1 ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2008م، ص171.

فتركزت سياسة المائية على حفر الآبار الكبيرة في الواحات لتكثيف إنتاج التمور وتصديرها[1] وذلك بخلق واحات جديدة وهو الأمر الذي قامت به الشركة الفلاحية والصناعية للجنوب الجزائري والتي تركزت اهتماماتها على خلق واحات في المنطقة المحصورة بين بسكرة وتقرت من خلال غرس مساحات شاسعة بالأشجار وفي وقت لم يتعدى 5سنوات(1882-1887م)، حيث تمكنت الشركة الفلاحية بباتنة من خلق ثلاث واحات جديدة هي "أوغيغ سيدي يحي، عياطة، ورقلة، المنيعة والأماكن القريبة من الحصون العسكرية مثل حاسي اينيغال وتيفديدين"وقامت هذه الشركة بأشغال حفر دامت 3سنوات (1891-1893م) تمكّنت من استخراج حوالي 30.000لتر من الماء في الدقيقة الواحدة[2]، كما قام المستوطنون بانجاز عمليات حفر واسعة للتنقيب عن المياه الجوفية في العديد من المناطق الجنوبية خصوصاً واد ريغ التي ارتفعت المياه المستخرجة منها 5300 لتر في الدقيقة سنة1856م إلى 200.000لتر في الدقيقة سنة1890م[3].

إن هذه الآبار كانت لخدمة المصالح الاستعمارية سواء في تدعيم الفلاحة المروية بالواحات التي يُديرها المعمرون أو تلك التي حُفرت على مسالك طرق القوافل التجارية، والتي وجهت خصوصاً لدعم الفرق العسكرية المكلفة بمراقبة الحدود وتكمن المشكلة أساساً من فرق "المهاري" وهو ما يؤكده نظرة الاحتلال للصحراء باعتبارها قواعد عسكرية في شكل محميات تُؤَمن المواصلات للطرق التجارية من الشمال إلى الجنوب[4]. كما أن السياسة التي استنزفت الموارد المائية الباطنية لفائدة المصالح الفرنسية الاستعمارية على حساب سكان الأصليين الذين حُرموا من أراضيهم وجففت منابع مياههم.

● **الإرهاق المالي والسيطرة التجارية:** لم تكتف قوات الاحتلال وجحافل المعمرين بنهب أراضي الجزائيين الخصبة والصالحة والسيطرة على موارد المياه ونهب الثروات الطبيعية فبالإضافة إلى ذلك مارست سياسة التجويع والتشريد في حق الجزائريين وبالعودة إلى تقارير اللجنة الأفريقية الأولى ومحاضر جلسات أعمالها نجد أن هذه السياسة كانت من أولويات الفرنسيين، ففي جلسة اللجنة المنعقدة بتاريخ 1833/10/28م بالجزائر كان محورها "العلاقات مع العرب" وهو موضوع جدول الأعمال والذي ناقشت فيه ثلاث زوايا وهي إتباع سياسة الليّن وحسن المعاملة مع العرب إلى غاية أن يندمجوا مع السكان الأوربيين، ومواصلة الحرب ضدهم إلى أن يفروا من مناطقهم وبالتالي تستطيع فرنسا احتلالها، وإحلال التشريعات الفرنسية محل

[1]- رحمون، المرجع السابق، ص67.

[2]- بن داهة، **الاستيطان**...، المرجع السابق، ص. ص(184،183).

[3]- عميراوي، المرجع السابق، ص136.

[4]- موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف- نشأتها وتطورها(1900-1939م)**-، مذكرة ماجيستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م، ص41.

التشريعات المحلية بهدف إبعاد العرب تدريجياً من المناطق التي تدخل ضمن السيطرة الفرنسية[1]، إن كل واحد من هذه الخيارات تهدف إلى إحلال العنصر الأوربي محل العنصر المحلي، لذا فإن ما حصل من ممارسات أثناء عمليات التوسع داخل البلاد من شمالها إلى جنوبها ليُعبر بصدق عن هذه النوايا التي تكرسّت باحتلال الجزائر وهو الأمر الذي أوصت به اللجنة الأفريقية الثانية في تقريرها المقدم للحكومة لم توصي باحتلال المدن والسهول فقط ولكنها أوصت بجعل الجزائر كلها أملاكاً فرنسية دائمة وثابتة[2]، ومن تتبعنا لمسار عمليات التوغل الاستعماري داخل الأراضي الجزائرية نجده أنه كان يتماشى مع هذه التوصيات، فالحرب والتشريد وأعمال الإبادة طالت معظم المناطق وحتى الذين يخضعون لأمر الواقع ويسلمون لسلطات الاحتلال لا يعتبرون كمواطنين فرنسيين بل تطبق عليهم إجراءات خاصة وهو نفس الأمر سواء على سكان الشمال أو سكان الصحراء، ومن بين أبرز هذه الإجراءات نجد:

§ **الإرهاق المالي**: المقصود بذلك هي السياسة المالية التي طبقتها قوات الاستعمار في الشق الاقتصادي وفي الجانب المالي على الجزائريين ومن أجل إضعاف القدرة الاقتصادية للجزائريين والقضاء على طبقة الأغنياء من خلال حجز الأموال والإرهاق الضريبي، فالضرائب كانت من أشد الوسائل فتكاً في الجانب الاقتصادي خاصة بعد مصادرة الأراضي. والضرائب المفروضة على الجزائريين كانت متنوعة وتُعرف بالضرائب العربية وهي تشريع ضريبي خاص يخضع له الأهالي دون امتيازات مقابلة[3]، ومن أبرز الضرائب التي تدخل في إطار تشريع الضرائب العربية نجد: الدستور، الزكاة، الحكور، اللزمة، فالعشر يقبض على كامل تراب الجزائر باستثناء بعض البلديات المختلطة في المشرية، لالا مغنية وبعض بلديات القبائل الصغرى والمنيعة أما "الحكور" فهي ضريبة خاصة لعمال قسنطينة، أما في الجنوب فقد فرض على القبائل دفع "اللازمة" وهي ضريبة راسية- أي تدفع على الرأس- وتضم سبعة أضعاف حيث تتم تعريفتها من0 إلى 100فرنك وهي إلى جانب العشور المفروضة على كافة الجزائريين، مثال على ذلك "لازمة النار" أي الضريبة المفروضة على كل نار يبرز دخانها تقدر ب22.5فرنك. ونجد أيضاً لازمة النخيل هي كالعشر بالنسبة للزراعات الأخرى فتتغير نسبتها من 0.25الى 0.35للشجرة[4].

هذا وما فتئ الأوربيون يطالبون بزيادة الضرائب الحربية، عوض فرض الدستور على كل المحاصيل وذلك بحجة أن الضرائب التي يدفعونها تزيد عما يدفعه العرب فالمسلم على في رأيهم يدفع 12فرنكاً للرأس فيما

[1]- للمزيد من التفاصيل حول أعمال هذه اللجنة. يُنظر، سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بدايات الاحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص. ص(100-102).

[2]- نفسه، ص109.

[3]- مياسي، **التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي**...، المرجع السابق، ص164.

[4]- محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين – تاريخ الجزائر(1830-1954م)**-، تر، محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الرويبة، الجزائر، 2008م، ص. ص(186-188).

يدفع 100فرنكاً[1] ولكن غاب عنهم أن الأوربي لا يدفع العشور كما غاب عنهم أن الضرائب العربية هي التي تمول مشاريع الاستيطان وهي المورد الأساسي للجماعات المحلية دون أن تقدم له خدمات أو يستنفع بها الفرد العربي، كما أن الضرائب المفروضة لم تكن ثابتة وهي متغيرة بحسب حاجة الاحتلال للأموال.

إن سياسة الضريبة المفروضة على السكان خصوصاً في الصحراء انعكست سلباً على النشاط الاقتصادي، فمنطقة ميزاب مثلاً تفننت فيها الضرائب بموجب معاهدة 1853م حيث فرض على السكان ما مقدار 4500فرنك ذهبي لترتفع سنة1919م إلى حوالي 13500فرنك ذهبي، كما أن سياسة الضرائب لم تطل أصحاب الأملاك فقط بل طالت الخماسين الذين أجبروا على دفع 12.5 فرنك، وسلَطت الغرامات العربية الجماعية لإجبار السكان على الاعتراف بالاحتلال خصوصاً تلك التي شاركت انتفاضة الأوراس[2]. وهنا يمكن الإشارة أن الغرامات الحربية التي دفعها الجزائريون بحلول سنة 1871م فقد بلغت وقتها 34.906.557فرنك فرنسي، كما تّم فرض ضرائب حربية على الأفراد الذين شاركوا في الثورات ضد فرنسا قدرت ب81فرنكاً على كل فرد وقد أدت هذه السياسات إلى تراكم ديون كبيرة على الجزائريين مما اضطروا على إثرها لبيع حيواناتهم وأراضيهم التي بيعت بثمن بخس قدر ب 10فرنكات للأراضي غير المثمرة و50فرنكاً للأراضي المثمرة. وهذه إحدى النتائج المقصودة من السياسة الإرهاق المالي المطبقة على الجزائريين وهو الأمر الذي أكده الحاكم العام للجزائر "قيدون" الذي قال:«.. إن فرنسا أجبرت المسلمين على الطاعة وذلك بإلتجاءها إلى أساليب إلقاء القبض على السكان وحجزهم واعتبارهم رهائن[3]»، وخير دليل على ذلك ما أورده "فاراون" مترجم الجنرال "سانت أرنو" في كتابه "حلقة من لغز": «يجب أن نثقل كاهلهم بضرائب مرهقة حتى تتعذر عليهم الحياة، فلا يجدون ما يسدون به رمقهم فيصبحون بين خيارين لا ثالث لهما، أما أن يثوروا أو ينخرطوا في الجيش الفرنسي»[4]، هذا وقد أكدت الدراسات التاريخية أن ضريبة العشور وحدها استنزفت مابين 13 إلى 14□ من مداخيل الفلاحين في حدود 1873م وهو ما يعادل 128مليون فرنك في الفترة الممتدة من 1877 إلى 1892م[5]، أما ضريبة "السخرة" فهي عبارة عن أعمال دون مقابل كالحراسة الليلية والحراسة ضد حرائق أو العمل في مزارع المستوطنين والمشاريع الاستعمارية، ويتم الإعفاء من هذه الأعمال إذا قام الفرد الجزائري بدفع مبلغ مالي بالإضافة إلى الضرائب عن حيوانات الجّر والحرث، ففي الجنوب يفرض 4.88 فرنك عن كل جمل تتراوح قيمته من 100 إلى 125 فرنك كما أن الجزائر مُجبَر على دفع ضريبة الأكواخ والمساكن والنخيل هذه هي الضريبة الخاصة بالجزائريين دون سواهم وهي الضرائب العربية والتي موَّلت الخزينة الاستعمارية بمبلغ 21مليون فرنك سنة1887م.

---

[1]- مياسي، المرجع السابق ، ص 165.

[2]- عميراوي، المرجع السابق، ص161.

[3]- بوحوش، المرجع السابق، ص. ص (160،159).

[4]- البشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م) ج1** ، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص160.

[5]- نفسه، ص 257.

هذا في الشق الخاص بالضرائب العربية والتي إلى جانبها يدفع الجزائري الضرائب الفرنسية بنوعيها المباشر وغير المباشر، فالضرائب المباشرة هي تلك المفروضة على الأشخاص الماديين والمعنويين وتقطع مباشرة كضريبة المهنة، الضريبة على العقار، ضريبة الدخل العام، حقوق الجمارك، الضريبة البلدية والتي يخل في إطارها الضرائب على الأملاك، الضرائب على ثيران الحرث، حقوق ذبح الحيوانات، إقامة الأسواق(المكوس)، الضرائب على المباني...الخ، وتشير الإحصائيات إلى أن الجزائريين دفعوا سنة 76 من الضرائب البلدية سنة1907م وتراوحت المساهمة الإجبارية في هذا النوع من الضرائب من 80 إلى 86 من إجمالي الضرائب البلدية، أما فيما يخص الضرائب غير المباشرة والتي تفرض على بعض المواد والنشاطات كالرسم على القيمة المضافة(TVA) وحقوق الطابع والتسجيل والرُخَص المختلفة، حق الصيد، وللإشارة فإن الجزائريين دفعوا في حدود ضعف ما دفعه الكولون من هذه الضرائب مطلع القرن 20م[1] رغم الاختلاف في رؤوس الأموال إلاّ أن المعمرين استفادوا من عدة إعفاءات ضريبة وتسهيلات في التسديد على الجزائري المجبر الدفع أو يلقى الويلات.

§ السيطرة التجارية: لم يكتف الفرنسيون بتكبيل الجزائريين اقتصادياً عن طريق الضرائب والمكوس والغرامات وغيرها بل تعدى الأمر إلى حرمانهم من المساهمة في الحياة الاقتصادية والحد من أنشطتهم التجارية، كما عمل الفرنسيون بكل جهودهم من أجل السيطرة على التجارة الداخلية والخارجية ما جعل السيطرة التجارية بيد أصحاب رؤوس الأموال من الكولون[2]، كما سعى المحتلون إلى السيطرة والقضاء على تجارة القوافل الصحراوية من خلال انجاز شبكات السكة الحديدية والطرق البرية فيتم نقل البضائع عبر القطارات والشاحنات بدل الرسائل التقليدية وهذا الأمر أضعف التبادل التجاري بين شمال البلاد وجنوبها، مما أدى إلى بروز احتكار السلع والتجارة الخفية(التهريب)[3]، وهذه سياسة التضييق والحجز الاقتصادي للبضائع وبيعها في المزاد العلني أثرت على تراجع وتلاشي القوافل التجارية بدءاً من سنة 1890م وانعكست سياسة السيطرة التدريجية سلباً على مختلف المناطق الصحراوية، فنجد منطقة واد سوف التي تعَوَّد أهلها على نوع من الاستقلالية التجارية وجدوا أنفسهم تحت نوع من الانضباط والتنظيم أقرب إليه من التقنين، حيث فرضت الرقابة على النشاطات التجارية خاصة التعامل مع دول الجوار(التجارة الخارجية) كتونس وليبيا(بالخصوص مع غدامس وغات)، فالجمارك كانت تضايق باستمرار حركة تجارة القوافل خاصة تلك التي ترفض الخضوع للإجراءات الجمركية والضريبة التي أرهقت التجارة أولاً والمستهلكين ثانياً من خلال ارتفاع الأسعار، حيث أن فرنسا لم تكن صاحبة الفضل في تنظيم الأسواق بالمناطق الصحراوية كما زعمت قبل ذلك بل أن التجارة الصحراوية كان يُشرف عليها مجلس الأعيان الذي يُنظم الأسواق ويشرف عليها مجلس الأعيان الذي يُنظم

[1]- بلاح، المرجع السابق، ص. ص(258،259).

[2]- سعد الله، **محاضرات**...، المرجع السابق، ص158.

[3]- عميراوي، المرجع السابق، ص. ص(158،159).

الأسواق ويُشرف على المعاملات التجارية وهو الأمر الذي غيرته سلطات الاحتلال التي احتكرت كل شيء. وخلاصة القول فإن المخططات التي نفذتها السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة عموماً وبالصحراء الجزائرية خصوصاً أثناء فترة الاحتلال، فقد كانت لها نتائج خطيرة على المجتمع الجزائري ولعل من أبرز نتائجها:

- تجذر واستفحال الفقر المدقع والجهل، حيث تشير الدراسات التاريخية إلى أن مستوى المعيشة لدى الجزائريين انحدر من 3 قناطير حبوب سنة 1871م إلى أقل من قنطارين ونصف أواسط القرن 20م.□
- انتشار الآفات الأمراض الفتاكة كالسل الذي أودى بحياة 40.000جزائرين سنة 1946م.□
- تحول الجزائريين من مُلاك أراضي إلى خماسين مستعبدين فقد فاق عددهم سنة 1914م المليون خماس[1].□
- انتشار الآفات الاجتماعية الغريبة عن الجزائريين وبتشجيع من المعمرين كالخمور والتدخين[2]...الخ.□
- الحد من حركة البدو الذين اعتادوا على التنقل نحو مناطق التل بحثاً عن المراعي بسبب المراقبة المفروضة من الفرنسيين على الأراضي .□
- توسع زراعة الكروم على حساب الجنوب من خلال الأنشطة الفلاحية التي مارسها المعمرون في الواحات المستحدثة من قبلهم ومن قبل كبريات الشركات.□

2. سياسة ضرب البنية الاجتماعية لمجتمع الصحراء الجزائرية:

إلى جانب المخططات الاقتصادية التي استهدفت المجتمع الجزائري وحرمانه من وسائل العيش، سعت سلطات الاحتلال إلى تطبيق وسائل تستهدف ضرب البنية الاجتماعية لهذا المجتمع من أجل تمزيقه وطمس هويته وذلك من خلال عدة سياسات. نحاول التطرق إليها على النحو التالي:

أ. **إضعاف القضاء الإسلامي بالجزائر وتحطيمه:** مما لاشك فيه أن الإسلام دين ونظام دولة ومجتمع يقوم على العقيدة والشريعة لذلك كان طبيعياً أن يعني بشؤون الدولة والفرد والمجتمع بوصفه دستور حياة، لذلك كانت مؤسسة القضاء من المؤسسات الرئيسية التي عُني بها الإسلام[3] سواء من حيث النصوص الشرعية أو المباشرة الفعلية من صدر الإسلام حتى أواخر الخلافة العثمانية التي كانت الجزائر أحد ولاياتها قبل الاحتلال الفرنسي، فقد كان الجزائريون يخضعون لنظام القضاء الإسلامي في جميع معاملاتهم، سواء الأحوال الشخصية أم الأحوال المادية أم العقوبات ولكن في بدء عهد الاستعمار الفرنسي حدث نوع من التغير الإجباري لجهاز القضاء نتيجة الضغوطات الممارسة على المجتمع الجزائري، لا لشيء سوى أن سلطات الاحتلال أدركت دور القضاء الإسلامي في ضمان الوحدة والتماسك بين أفراد هذا المجتمع المتمسك بقيمه الدينية، هذه الوحدة التي

---

[1]- بلاح، المرجع السابق، ص250.

[2]- نفسه، ص. ص (252،253).

[3]- محفوظ بن صغير، **الاجتهاد القضائي في الفقه الإسلامي وتطبيقاته في قانون الأسرة الجزائري**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009م، ص19.

لا تخدم المصالح الاستعمارية لذا لجأت إلى تطبيق سياسات تُضعف هذا الجهاز متذرعة بذرائع واهية منها أن الجزائر بلداً مهزوماً يجب أن ينحني أمام نظامها القضائي المتقدم وأن النظام القضائي الجزائري "متخلف ومُرتشي"[1]. وقد ركزت هذه السياسات على عدة أهداف مرحلية:

أولاً: إفراغ القضاء الجزائري من محتواه مجرد قضاء شكلي يتركز نشاطه توثيق بعض العقود وإصدار الفتاوى في المسائل الشرعية.

ثانيًا: مراقبة القضاة الشرعيين من طرف القضاة الفرنسيين والمكاتب العربية.

ثالثًا: خلق جهاز التوثيق القضائي notaires وجعله المسؤول عن تطبيق العقود والمواثيق[2].

رابعًا: إلغاء القانون الجنائي الإسلامي(تطبيق الحدود) في المناطق الخاضعة للاحتلال[3].

خامساً: فرض الترجمة على الأحكام الصادرة عن القضاء الإسلامي إلى الفرنسية منذ1860م وتشجيع الجزائريين للاحتكام أمام قضاة الصلح الفرنسي.

ولتنفيذ هذه السياسات الهادفة إلى إضعاف القضاء الإسلامي ثم استبداله بالقضاء الفرنسي حيث سنّت السلطات الاستعمارية عدة تشريعات لإنجاح سياساتها والتي من أهمها:

- مرسوم 1834/08/10م والذي نصّ على ضرورة تصديق النيابة العامة الفرنسية على أحكام قضاة المحاكم الشرعية في المحاكم الجزائية قبل نفاذها، كما نصّ على إسناد مهام تعيين قضاة المحاكم الشرعية يعود لملك فرنسا، ونصّ كذلك على أن الأحكام تصدر باسم فرنسا.

- إصدار عدة مراسيم تنفيذية منها مرسوم 1848م، 1854م، 1855م، 1858م، 1859م والتي بموجبها أُعيد تنظيم العدالة الإسلامية بهدف إضعافها وإفراغها من محتواها، خصوصاً المرسوم1854م الذي نصّ على إنشاء مجلس للقضاء الإسلامي للنظر في النقاط الغامضة من الشريعة الإسلامية تحت سلطة الحاكم العام، وفي هذا المجال صرح الحاكم العام[4] "دوقيدون" يوم 27مارس 1874م قائلاً: «..إن العدالة تدخل في إطار السيادة، وعلى القاضي المسلم الانحناء إمام القاضي الفرنسي، وعلى كل واحد أن يفهم أننا الغالبون»[5].

في هذا الاتجاه تّم تقليص عدد المحاكم الشرعية بإلغاء 13 محكمة والإبقاء على 61 فقط عبر القطر الجزائري وهذا سنة 1880م، من خلال هذه السياسات يمكن القول أن المستوطنين والسلطات الاستعمارية

---

[1]- بلاح، المرجع السابق، ص145.

[2]- بوحوش، المرجع السابق، ص .ص (174،175).

[3]-.بلاح، نفسه، ص145.

[4]- نفسه، ص. ص(145،146).

[5] - Charles Robert AGeron, **Les Algériennes Musulmans et la France (1871-1919),** t1, paris, PUF, 1973, p201.

استخدمت جهاز العدالة كسلاح لقمع الجزائريين عن طريق تطبيق القوانين الفرنسية وإلغاء العمل بالقانون الجزائري والشريعة الإسلامية.

ب. **سياسة طمس الهوية الجزائرية:** إن المتتبع لعمليات التوسع والإخضاع المطبقة على الصحراء الجزائرية سيلاحظ أن هذه العملية شاركت فيه أطراف كثيرة، ووظفت فيها جميع الوسائل واستخدمت فيها كل الطاقات البشرية والمادية المتوفرة لدى سلطات الاحتلال آنذاك من أجل تحقيق السيطرة التامة على هذا الإقليم، فالفرنسيون على مختلف أسلاكهم سواء العسكريين أو المبشرين أو الباحثين المستكشفين بذلوا جهود جبارة في دراسة واقع المجتمع الصحراوي الثقافي والأنثربولوجي[1] لتسهيل عمليات الإخضاع بأخذ الصورة الكاملة عن هذا المجتمع، فالكثير من دراساتهم تناولت الظاهر الثقافية والاجتماعية لأهل الصحراء ونمط معيشتهم كأنماط التعليم والدين والعادات والتقاليد وغيرها، وقد وُظفت هذه الدراسات لتنفيذ سياسات الاستيعاب المختلفة التي أثارت مواجهات عنيفة مع الجزائريين[2] والتي كان من بين أسبابها محاولات الاستعمار فصل المجتمع عن مقوماته الحضارية وكذا سعيه لمحو هذه المقومات كلياً، الاّ أن هذا الجمود حطم المحاولات فاضطر المستعمر لتنفيذ أساليب بديلة كالتقليل من هذه المقومات واحتقارها والتقليل من شأنها، حيث وصف الدين الإسلامي بالخرافة والأسطورة الكاذبة والشرع بالعادة واللغة باللهجة العامية متبعاً في ذلك أساليب متنوعة ترتكز على عدة إجراءات أهمها:

- ممارسة رقابة خاصة على المدارس القرآنية والمساجد حتى تضييق سبل التعلّم اللغة العربية وأمور الدين باعتبارهما الأركان الصلبة لهذا المجتمع.
- تحييد أو تشويه النخب المتعلمة الواعية.[3]
- فرض إجبارية التعليم في المدارس الفرنسية على قلتها بإقليم الصحراء.
- تقديم تعليم محدود للجزائريين من أجل توجيههم لتعلّم الحرف التي يحتاجها الفرنسيون.[4]
- تضييق الخناق على الزوايا والكتاتيب وحرمانها من مصادر التمويل الأساسية كالأوقاف والتبرعات.
- تشجيع التعليم التبشيري بالصحراء من خلال دعم نشاط آباء البيض على غرار ما قام به هؤلاء في الأغواط وورقلة والبيض معنوياً ومادياً.
- دعم نشاط المبشرين في محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي وخير دليل على ذلك ما قام به "دي فوكو" في منطقة الهقار ومن بعده مجموعة الأخوة الزرق.

[1]- سرير ، المرجع السابق، ص280.

[2]- خرشي، عيساوي ،المرجع السابق، ص22.

[3]- محمد الأمين بلغيث، **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق**، دار البلاغ، ط1، الجزائر ،2001م، ص55.

[4]- كديدة، المرجع السابق، ص. ص(26،27).

- § منع انتشار النوادي والمراكز الثقافية بالصحراء، ومراقبة أعمال النوادي القليلة التي سمح بتأسيسها في الأغواط، غرداية، بسكرة وهذه النوادي هي نادي الأدب في الأغواط ونادي الإصلاح في غرداية ونادي الحياة في القرارة ونادي الشباب والجمعية الإسلامية في بسكرة وكذا جمعية إعانة الفقراء في نفس المدينة[1].□
- § إلغاء الأعياد الدينية الإسلامية والاستيلاء على الأوقاف[2].□
- § استغلال اللهجات ودراستها واستعمالها من أجل محاربة اللغة العربية والإسلام[3].□
- § قيام المبشرين من خلال مراكزهم بتسجيل مواليد الجدد من أبناء الجزائريين في سجلات الحالة المدنية تحت أسماء نصرانية[4].□

كانت هذه أهم الخطط والاستراتيجيات التي طبقها الاستعمار الفرنسي بالصحراء الجزائرية سعياً منه لطمس معالم ومقومات هذا المجتمع، إلاّ أن هذه الاجراءات رغم بشاعتها فقد لعبت رفض ومقاومة كبيرة من أبناء الجنوب –وهو الأمر الذي نحاول التطرق إليه في الفصل الخامس–

ت. **سياسة التفرقة والاحتواء:** من بين السياسات التي راهن عليها المستعمر بالجنوب الجزائري هي محاولة التفرقة بين أبناء هذا الإقليم من خلال ضرب القبائل ببعضها البعض واستمالة بعض الأسر الكبيرة وكذا إذكاء الفتنة الدينية بين الزوايا والطرق الصوفية ويمكن توضيح ذلك ما يلي:

● **سياسة التفرقة**: الاعتماد على الحكمة القائلة "فرق _ تسد" سعت السلطات الاستعمارية إلى تمزيق صفوف الجزائريين منذ البدايات الأولى للاحتلال وكان هدفها الرئيس هو حل القبائل والعروش العربية[5] خصوصاً التي رفضت الخضوع للسياسات الاستعمارية التي حاولت إقناع الجزائريين بقبولها والخضوع لها بحجة أن فرنسا لا تنوي إلحاق الضرر بهم، ورغم محاولات إدارة المكاتب الشؤون العربية من خلال اتصالها بشيوخ القبائل والعشائر[6]. إلا أن الكثير من القبائل واصلت وقوفها إلى جانب تيارات المقاومة لسنوات طويلة ما جعلها عُرضة لمخططات الجيش الفرنسي في المناطق العسكرية والتي تقوم على مبدأ تحطيم النظام وقوانين العمل الجزائرية في كل منطقة يتم احتلالها وذلك بقصد تكسير العلاقات العائلية الجزائرية، كما كانت سياسة فرنسا تقوم على أساس التحكم في الجزائريين وإخضاعهم لنفوذها وكذا شق صفوفهم ودفعهم للتقاتل فيما بينهم وهو الأمر الذي حدث في إقليم الجنوب عندما انضم سعيد بن فرحات إلى الفرنسيين وتحالف معهم مقابل أن يعترفوا به شيخاً للعرب ورغم رفض الفرنسيين ذلك إلاّ أنه دخل في معركة حامية مع أحمد باي، والأمر ذاته

---

[1]– كديدة، المرجع السابق، ص. ص(28،29).

[2]– علي غنايزية، **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية ج2** ، د.د، ط1، الجزائر، 2012م، ص54.

[3]– وعلي، المرجع السابق، ص63.

[4]– المركز الوطني للدراسات والبحث...، المرجع السابق، ص 255.

[5]– بوحوش، المرجع السابق، ص 162.

[6]– نفسه، ص129.

وقع مع هائلة بن قانة وعائلة بوعكاز وهما العائلتان الكبيرتان اللتان توارثتا السلطة والنفوذ في الصحراء الشرقية منذ عهد الأتراك، ففي بداية الاحتلال انضم أولاد بن قانة إلى الاحتلال بينما انضم أولاد بوعكاز إلى الأمير عبد القادر وبعده خُضعوا إلى الفرنسيين. وأصبحت مناطق النفوذ العائلتين متشابكة ومتداخلة فبعض القرى والدواوير تخضع لأولاد قانة والبعض الآخر يخضع لأولاد بوعكاز فيما بقت مدينة بسكرة خاضعة للفرنسيين الذين قاموا بمراقبة العائلتين وحفظ التوازن بينهما، فيما بقي الأخوان القادريون في أولاد عبدي على الحياد وكانوا الأكثر استعداداً للثورة ضد الفرنسيين وقد اشتعلت خصومات كبيرة بين العائلتين خاصة بين عامي1870-1871م. والأمر ذاته تكرر بنواحي الأغواط التي رفض العديد من أعيانها الخضوع لسلطة الأمير عبد القادر سنة1838م وعلى رأسهم سي محمد الصغير التيجاني الذي جاهز بالعصيان وامتنع عن تقديم المساعدة الشرعية للأمير الذي زحف على عين ماضي وحاصرها لمدة فاقت ستة أشهر ما أُجبر الشيخ التيجاني على الاستسلام يوم22 نوفمبر1838م[1]، ورغم ذلك بقيت العديد من قبائل الأغواط معادية للأمير وأصرت على عدم الطاعة وكانت لها اتصالات مع الفرنسيين للتآزر ضد قوات الأمير في الجنوب مما أثار سخطه وغضبه عليهم فقرر إنزال أشد العقوبات عليهم لكنه عفا عنهم بعد أن تمكن منهم وأصبحوا في طاعته متمسكين به، كانت هذه بعض العينات من سياسة التفرقة التي نفذتها سلطات الاحتلال بالصحراء الجزائرية لتمزيق شتات الجزائريين وإضعافهم ثم إخضاعهم.□

● **سياسة الاحتواء والتدجين**: تهدف هذه السياسة إلى كسب صفوف بعض القبائل والعائلات الكبرى واستخدامها للسيطرة على الجزائريين على غرار ما حدث مع عائلتي بن قانة وبوعكاز- السالف ذكرهما- واللتان اُستخدمتا لمراقبة الصحراء وضبط الأمن فيها، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تحطيم نفوذ هذه العائلات بالصحراء الجزائرية الكبيرة ذات السمعة والمكانة بعد أن نالت فرنسا منها غرضها، فبعد أن كانت هذه العائلات وسيلة لفرض السيطرة الفرنسية التي حققت غرضها بالتواجد عبر الصحراء أدارت هذه الأخيرة ظهرها لهذه العائلات وعملت على تحطيم كبريائها ونفوذها شيئاً فشيئاً في محاولة لتقليم أظافرها وإذابتها ضمن المجتمع الفقير الكادح[2] حتى لا يبقى بين أفراد الشعب من يفكر في القيام بالمقاومة وهذا الأمر يتضح جلياً في كلام "لويس رين" الذي قال: «.. إن رؤساء هذه القبائل لم يريدوا أن يفهموا بأنهم أوتي بهم من اجل خدمة السلطات الفرنسية فقط وتنفيذ أوامرها»[3]. ورغم كل هذه السياسات فإن الجزائريين واصلوا تحرياتهم للسلطات الفرنسية من خلال المقاومات المختلفة التي مست ربوع الوطن وانتهت بحرب التحرير.

[1]- مياسي، **التوسع الاستعماري**...، المرجع السابق، ص.ص (93-96).

[2]- بوعزيز، المرجع السابق، ص. ص (239،240).

[3] - Louis Rinn**, Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie,** librairie Adolphe Jordan, Alger, 1891, pp 20-30.□

الفصل الخامس

موقف الجزائريين من سياسات الاستعمار المختلفة

- مقاومة التوسع العسكري الفرنسي بالصحراء الجزائرية
- الطرق الصوفية وزوايا العلم بالصحراء الجزائرية ودورها في الحفاظ على الموروث الحضاري

1. مقاومة التوسع العسكري الفرنسي بالصحراء الجزائرية:

ساهم الاستدمار الفرنسي من خلال سياساته التوسعية المختلفة في الصحراء الجزائرية ورحلاته العلمية الاستطلاعية والتنصيرية في زرع بذور المقاومة في نفوس الجزائريين، حيث عمل على التخريب والدمار طمعاً له في الاستقرار فكان كلما استعصت عنه أيّ محاولة لاحتلال منطقة أو توسع فيها قام بأبشع الجرائم التي يعجز اللسان عن وصفها فكم من واحات خُربت وقصور هُدمت ومزارع أُحرقت وحرمات أُنتهكت وحقوق سلبت ومجازر أُفتعلت وأعراش فككت، وكل هذا كان من أجل السيطرة على منافذ الصحراء وثرواتها الاقتصادية، غير أن المنطقة الصحراوية وبرغم ظروفها القاسية وبعدها عن الشمال لم تقف مكتوفة الأيدي بل قاومت الاستعمار بكل الوسائل المتاحة، ولم تقتصر مقاومتها على الثورات والانتفاضات وحمل السلاح في وجه المستعمر بل إنّها حاربته أيضاً بالمقاومة الفكرية والروحية، وحافظت على ذاتيتها ومقوماتها الحضارية ورفضت كل السياسات المنتهجة وكان حليفها الأول هو الطرق الصوفية الراشدة التي ساندت المقاومة في المنطقة وكان لها دور رئيسي في المحافظة على الموروث الثقافي والحضاري والوطني للمنطقة.

كانت الصحراء الجزائرية برقعتها الجغرافية الواسعة مسرحاً لكثير من الأحداث وخاصة الحملات العسكرية الفرنسية التي شنتها على أقسامها الثلاث-التي تطرقنا إليها سابقاً- حيث مارست من خلالها أبشع وأفظع الأساليب القمعية منذ دخولها للوهلة الأولى إلى أرض الجزائر، إن الثورات والانتفاضات لم تنتهي بسقوط المقاومة في الشمال بل وصلت إلى غاية الواحات الصحراوية سنة1849م وتوسعت جغرافياً إلى غاية وصولها إلى حدود الدول المجاورة مثل ليبيا شرقاً ومالي والنيجر جنوباً وموريتانيا غرباً، وبالتالي أصبحت الصحراء الجزائرية معقل للثوار وأرض المقاومات الشعبية المنظمة منها أو غير المنظمة تشترك جميعها في رفض التوسع الاستعمار الفرنسي الغاشم. حيث كان زعماء المقاومة في الجنوب يتمتعون بالفكر والتخطيط والحماس الديني والوطني ولعبوا دوراً بارزاً استطاعوا من خلاله أن يحققوا عدة انتصارات على القوات الفرنسية المتفوقة والمتطورة، كما أن المقاومات في الصحراء بأقسامها الثلاث (القسم الأوسط- الجنوب الشرقي- الجنوب الغربي) قد رسخت الروح الثورية والنزعة الجهادية التحررية الرافضة للاحتلال والوجود الفرنسي لعقود من الزمن وحافظت على الضمير الوطني والحس الديني.

أ. **المقاومة في القسم الأوسط من الصحراء:** وشملت منطقة الزعاطشة والزيبان والأوراس وبوسعادة والمسيلة التي كانت بقيادة الشيخ بوزيان وناصر بن شهرة وأمثالهم من المجاهدين الذين حملوا لواء الجهاد ضد الاستعمار، ثم الأغواط لتمتد إلى تيارت ومعسكر وتقرت وغرداية وحتى ورقلة والتي كانت هذه الأخيرة بقيادة محمد بن عبد الله. وتعتبر هذه المقاومات المتنوعة التي قادها شيوخها لم تكن مجرد انتفاضات بل أنها كبدت الاحتلال الفرنسي خسائر هائلة وأخرت في توسعه وتوغله نحو أعماق الصحراء ولولا أسلحتها التقليدية وعدم تزامنها في الوقت والمكان لتمكّنت من طرد قوات الاحتلال من معظم مناطق الصحراء التي

كانت قد أخضعتها بفعل الحملات العسكرية وإستراتيجيتها الهادفة إلى التوسع وبسط النفوذ، و نجد أشهر هذه الثورات ثورة الزعاطشة التي كانت امتداد لمقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي لأنها وقعت مباشرة في عام 1849م[1]، قادها الشيخ بوزيان شيخ الطريقة الدرقاوية بالزيبان[2]وعرف سكانها خلال هذه الفترة الحكم الاستبدادي للسلطات الفرنسية اتجاه المواطنين ففرضوا على الفلاحين زيادة جائرة في دفع الضرائب على النخيل[3] واستحواذها على الأحباس[4]. لهذا فالهدف الأهم في هذه المقاومة كان أولاً تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي وطرد الحامية العسكرية الفرنسية المتمركزة في بسكرة وإلغاء الضريبة المفروضة على النخيل[5] وكانت بدايتها بتذمر القرويين وأيدهم في ذلك الشيخ بوزيان. بعدها توجه الجيش الفرنسي لاعتقاله فهب الناس وإفتكوه بالقوة وانفجرت عندئذ الثورة[6] حيث امتدت نيرانها إلى كل من منطقة الزيبان وأولاد نايل والحضنة وبوسعادة والأوراس، ودُعمَت حركته الثورية بكل من الشيخ "سي عبد الحفيظ" مقدم الطريقة الرحمانية في الأوراس والشيخ حامد بلحاج ببوسعادة وبن جودي شيخ أولاد زيان[7]، هذا ما دفع العقيد "كاربوسيا" قائد حامية باتنة بالتحرك لإخماد الثورة حيث واجهه الثوار وهزموه بعدها قامت سلطات المحتل بإرسال جيش بقيادة الجنرال "هربيون" وقام بمحاصرة الواحة وكل المنطقة ودارت بينهم معركة طولقة وفرفار وليشانة لكن فشل الجيش الفرنسي في كسر شوكة الثوار،[8] حيث تحولت واحة الزعاطشة بكامل سكانها إلى ميدان اقتتال وجهاً لوجه حتى أن ضباط الواحات العسكرية بلغ بهم الغيظ أن اتفقوا فيما بينهم على التنكيل بسكان القرية أسوأ تنكيل[9]. ومنذ بداية 20 نوفمبر شرعت القوات بقذف الواحة بصورة مركزية لإحداث الثغرات[10] واستمر هذا الأخير إلى غاية منتصف نهار 26 نوفمبر حينها اقتحمت الجيوش الفرنسية القرية بما فيها[11] وسقط على إثرها أكثر من 800 شهيد من بينهم الشيخ بوزيان وابنه ونائبه الحاج موسى فنكّل الفرنسيون بجثثهم وقطعوا رؤوسهم وحملوها إلى بسكرة ليعرضوها في الساحة على مرأى الناس[12]، ولعل من النتائج المباشرة لثورة الزعاطشة احتلال بوسعادة والتي وقعت فيها ثورة بقيادة محمد علي بن شبيرة وهو زعيم ديني

---

[1]- محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954م)**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت، ص82.

[2]- سعيدي، المرجع السابق، ص564.

[3]- العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن19م**، دار المعرفة، الجزائر،2006م، ص199.

[4]- عيساوي، شريخي، المرجع السابق، ص127.

[5]- عيسى جعنيط، **مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19م- ثورة الزعاطشة أسبابها وتطورها**-، "مجلة الدراسات التاريخية"، ع9، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص148.

[6]- سعيدي، نفسه ، ص564.

[7]- منور، نفسه، ص199.

[8]- سعيدي، نفسه، ص565.

[9]- العلوي، نفسه، ص82.

[10]- بوعزيز،**أضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة عام 1848م**، "مجلة الثقافة"،ع32، أفريل- ماي، د.م، 1976م، ص48.

[11]- سعيدي، نفسه، ص565.

[12]- منور، نفسه، ص200.

دعا إلى الجهاد أثناء ثورة الزعاطشة، كما أن واحة نارة والتي تقع في واد عبدي بالأوراس لقيت مصيراً كمصير الزعاطشة على يد العقيد "كاروبير"[1].□

ب. المقاومة في القسم الشرقي من الصحراء: من جملة المقاومات الباسلة والمشرفة التي خاضها سكان الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية في مواجهة الغزو الاستعماري مع نهاية القرن19م وبداية القرن20م. والتي اشترك فيها معظم القبائل والعشائر انطلاقاً من وادي شون بورقلة وتقرت وصولاً إلى جانت، إليزي، الهقار.

●**ثورة الشريف محمد بن عبد الله[2] بورقلة وضواحيها:** كان الشريف محمد بن عبد الله في بداية مسيرته معارضاً للأمير عبد القادر حيث أنه وقع اتفاق بينه وبين السلطات الاستعمارية على معاداة الأمير فمنحت له لقب السلطان وعينته خليفة على تلمسان، لكن بعدها تغير الوضع وبدأت المضايقات من طرف فرنسا التي نقضت عهدها معه مما دفعه إلى تغيير موقفه منها وتوجه إلى حمل راية الجهاد والثورة ضد الفرنسيين- لمدة 30سنة- قام خلالها بعدة معارك دفعت بالسلطات الاستعمارية بإرساله إلى الحج للتخلص منه. لكنه في عام 1850م عاد إلى الجزائر واتجه إلى وادي سوف مباشرة واستقر بزاوية "رويسات"، ثم توجه في عام 1851م إلى تقرت وورقلة وعسكر بالقرب منها[3] ليواصل كفاحه حتى وصل الأغواط وشن هجمات على مراكز فرنسية بالتل لكن القوات الفرنسية أرغمته على الانسحاب، وفي فيفري من عام 1853م عاد رفقة الناصر بن شهرة وحاول استرجاع الأغواط غير أنه انهزم للمرة الثانية على التوالي وأجبرته على الانسحاب إلى منطقة "نفطة التونسية" لعدة شهور[4]. ثم ظهر سنة 1854م في تقرت لكن الفرنسيين احتلوا هذه الواحة وبسطوا سيطرتهم على وادي ريغ[5] بعد أن دارت بينهما عدّة معارك انتهت بهزيمته انسحب على إثرها، وفي نفس السنة خيّم بقوته تحت أسوار تقرت وطلب المساعدة من أهل سوف ليعاود المقاومة بعدها التحم الجيشان في معركة ضارية بمقارين[6]، يوم 22نوفمبر 1854م انتهت بهزيمة الشريف بن عبد الله[7] وحينها استولت فرنسا على تقرت[8] وانتقل الشريف إلى تونس[9] مكث بها مدة طويلة وعاد مرة أخرى إلى

---

[1]- بوعزيز، المرجع السابق ، ص49.

[2]- **بن عبد الله** : ينتمي محمد بن عبد الله إلى سيدي أحمد بن يوسف إلى فرع قبيلة أهل روسيات قرب عين تموشنت، اشتغل معلماً في تحفيظ القآن الكريم في زاوية اولاد سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ، رفع راية الجهاد منذ عودته من البقاع المقدسة وشارك في عدة معارك إلى غاية وفاته1895م...للمزيد. يُنظر، بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2009م، ص. ص' 154-167).

[3]- نفسه، ص. ص(154-157).

[4]- سعيدي، المرجع السابق، ص. ص (568،569).

[5]- قداش، المرجع السابق، ص 192.

[6]- مياسي، **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2007م، ص. ص(137-139).

[7]- سعيدي، نفسه، ص569.

[8]- منور، المرجع السابق، ص201.

[9]- مياسي، نفسه، ص142.

أرض الوطن. وخلال عام 1858م ثم توجه إلى منطقة توات ومن هناك إلى الأغواط لكن سي بوبكر ولد حمزة اعتقله أواخر عام 1861م[1] وقام بتسليمه إلى السلطة الفرنسية التي بدورها سجنته لكنه استطاع الفرار من قبضتهم وعاد إلى تونس[2] ومكث بها إلى غاية اندلاع ثورة المقراني والحداد ليظهر عام 1871م ويشترك في معارك إلى جانب الناصر بن شهرة[3] في تقرت و ببوشوشة[4] بورقلة. وبعد أن ضعف أمره وقل أتباعه اعتقله باي تونس وسجنه في1876م[5] وبقي في تونس إلى أن وافته المنية سنة1895م ودفن بقرية "دوز التونسية". ويكفي أن نعلم كما يقول سعد الله في كتابه الحركة الوطنية: «. أن كاتباً فرنسياً عاش قريباً من عهد هذه المعارك...و قال أن الصحراء كلها عندئذ (أوائل الخمسينات) كانت هائجة تموج تحت تأثير بن الناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله..» وهذا ما دفع بالفرنسيين بعد احتلال الأغواط وورقلة وتقرت عسكرياً إلى اتخاذ أسلوب جديد في معاملة بعض الجزائريين وهو تنصيب حماية تضمن للطرفين واجبات وحقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب ومنه ذلك الاتفاق الذي وقع بين الفرنسيين وأهل ميزاب في 9 أفريل 1853م.

- **مقاومة محمد بن تومي بوشوشة** (1896-1874م): مع مطلع عام 1865م التحق بوشوشة بمركز تجمع ثوار أولاد سيدي الشيخ بالفقيق وتنقل بواحة توات داعياً للثورة وتجول في الصحراء أثناء المجاعة الكبرى التي حلت بالبلاد سنتي (1867-1868م)[6]. وخلال عام 1869م تمركز في عين صالح وأعلن نفسه كشريف فقام أهالي منطقة الشعابنة بمبايعته وفي سنة 1870م بايعه شعابنة ورقلة فأخذت حركته تمتد وتنتشر[7]، وفي أفريل من نفس السنة هاجم بوشوشة مدينة المنيعة واستولى في 5 ماي على مدينة متليلي بعد حصار دام عدة أيام. وابتداءً من هذا التاريخ أصبح هو القائد الفعلي للمقاومة في الجبهة الجنوبية للصحراء الجزائرية[8]، وبعد ذلك بدأ في الهجوم على ورقلة وهزم حاميتها العسكرية الفرنسية واستولى عليها وعيّن الناصر بن شهرة خليفة عليها وجعل منها قاعدة للثورة وتوالت انتصاراته حيث هاجم كذلك منطقة القمار بوادي

---

[1]- بوعزيز، **ثورات**...، المرجع السابق، ص. ص(162،163).

[2]- سعيدي،المرجع السابق ، ص569.

[3]- بن شهرة (1804- 1884م): ينتمي بن الناصر بن شهرة بن فرحات إلى قبيلة المعامرة والحجاج الذين ينتمون بدورهم إلى الحرازلية قرب ورقلة، كان يتبع الطريقة القادرية و ارتبط بشيخها أحمد الشاوي بالأغواط ، واستهل نشاطه الجهادي منذ عام 1851م حيث التحق بكفاح الشريف بن عبد الله.. وقاوم مع أولاد سيدي الشيخ...الى أن توفي ببيروت...للمزيد. يُنظر، بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص. ص (151-156).

[4]- بوشوشة: اسمه الحقيقي محمد بن التومي بن إبراهيم ولد بقرية بقرب من مدينة المنيعة في 1826م، سجنه القوات الفرنسية في 1862 قرب سيدي بلعباس لكنه فرّ والتحق بثورة أولاد سيدي الشيخ...تنقل بين واحات توات والفقيق داعياً لمكافحة المستعمر...للمزيد. يُنظر، بوعزيز، **ثورات**...، نفسه، ص. ص(224-235).

[5]- سعيدي، نفسه، ص569.

[6]- نفسه، ص. ص (577،578).

[7]- بوعزيز، **ثورات**...، نفسه، ص227.

[8]- بوحوش، المرجع السابق، ص587.

سوف وهزم أعوان علي باي ممثل الفرنسيين في 8مارس 1871م[1]. وفي يوم 13 ماي من نفس السنة قام بوشوشة بمهاجمة تقرت وكان النصر حليفه إلاّ أن القوات الفرنسية المرابطة بها تمكنت في 27 ديسمبر من شن هجوم كبير على مدينة تقرت واستطاعوا احتلالها من جديد وكان ذلك يوم 12جانفي 1872م بعد معركة عسكرية بقيادة "دولاكروا". وبعدها استأنف بوشوشة حرب العصابات ضد القوات الفرنسية[2] حيث ظهر في أواخر سنة 1873م بالمنيعة وهاجم مَن بها من القوات الفرنسية لكنه في الأخير وقع أسيراً في معركة جرت بينه وبين الجيش الفرنسي في مارس 1874م، فاقتيد إلى ورقلة ثم قسنطينة حيث أودع بالسجن وصدر في حقه قرار الإعدام الذي نُفذ يوم 29 جوان 1875م[3].□

●**مقاومة الطوارق** (1881-1919م): تميزت المقاومة الشعبية التارقية بعدة خصائص أولها شساعة المساحة الجغرافية التي استغلتها في مقاوماتها والتي امتدت من مدينة غات شرقاً إلى مدينة تمنراست غرباً بما فيها منطقتي الطاسيلي أنجر والهقار ومن مدينة ورقلة شمالاً إلى حدود النيجر جنوباً. حيث لقيت مساهمة واسعة من طرف القبائل وفصائل الطوارق ضمن هذه الرقعة الجغرافية ومن بين هذه القبائل (كل غلا- إيمانان- طايتوك- إيفوغاس- الهقار- تدجاج ملات- إرقاتن- إنهضا نارت)[4]، وبدأت المقاومة بإفشال كل البعثات الاستكشافية الاستطلاعية والوقوف دون الوصول إلى أهدافها منذ سنة 1881م، حيث تّم قتل الكثير منهم[5] خصوصاً أن النوايا الحقيقية للفرنسيين كُشفت بمجيء المقدم فلاترز ومهمته (العلمية) سنة 1880م إلى الهقار –أعماق الصحراء- ما دفع بطوارق أزقار والهقار وكال فرشي وكال أوت وطوارق تمبكتو بمدينة غات إلى اتخاذ قرار وهو مقاومة أيّة محاولة أوربية لتغلغل في الصحراء. وهنا تظهر شخصية أهتيفال محمد بسكا بن الحاج البكري أمينكال طوارق الهقار الذي بدأ بدوره يُنظم ويُوحد صفوفهم للجهاد، وهو ما دفع بالفرنسيين إلى التفاوض معه إلاّ أنها لم تفلح في ذلك[6]. كما ظهر في مقاومة الطوارق عنصر مهم ذو نزعة ثورية وهو الشيخ آمود الذي كانت أولى المعارك التي شارك فيها معركة "بئر غرامة" سنة 1881م والتي قُتل فيها المقدم فلاترز. وبعد انهزام القوات الفرنسية في أول اصطدام عسكري مع طوارق لم تفكر في العودة للتوغل في أعماق الصحراء مجدداً إلاّ بعد عام 1889م[7] التي كانت بداية تطويق مناطق الهقار والطاسيلي-ناجر عن طريق النقيب "فور لامي ". عندئذ غادر الشيخ آمود تلك المناطق وفي سنة 1902م هاجمت القوات الفرنسية قرية

[1]- سعيدي، المرجع السابق ، ص578

[2]- بوحوش، المرجع السابق، ص145.

[3]- سعيدي، نفسه، ص. ص (578،579).

[4]- غالي العربي، **ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية**، "مجلة الرؤية"، ع1، السنة الأولى، جانفي- فيفري، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 1986م، ص. ص (98،99).

[5]- العيد بشيّ، المرجع السابق، ص31.

[6]- عميراوي، المرجع السابق، ص55.

[7]- العربي، نفسه، ص109.

"تيت" التي توجد بالقرب من تمنراست غير أنها تلقت هزيمة نكراء[1] واشتدت الحملات ضدهم بانضمام وتخطيط من النقيبين "لابيرين ودو فو كولد"[2]. ووقعت معركة أخرى من طرف هذان الأخيران ضد ثوار الطوارق في تمنراست سنة 1904م[3]، سمع عندئذ الشيخ آمود أن أق مستان بهذا الهجوم فوضع السلاح ورضى بالمفاوضة مع الفرنسيين من أجل تخفيف الحملات لكن في حقيقة الأمر هذا الشيء هو الذي دفع بآمود إلى مواصلة كفاحه ضد المستعمر من جديد، وفي سنة 1908م حاولت فرنسا الدخول من الآهقار إلى واحة جانت لكن المقاومون تصدوا لها وألحقوا الهزائم بالقوات الفرنسية مما تراجعت وتقهقرت إلى منطقة الآهقار[4]. وفي مطلع عام 1909م اصطدم الفرنسيون مع قوات الشيخ آمود لكن كفة الميزان هذه المرة رُجحت لصالح القوات الفرنسية واستمر الوجود الفرنسي بالمدينة إلى غاية سنة 1911م[5] (بمنطقة جانت). بعدها تحرك الشيخ آمود بمساعدة وبدعم من أتباع الطريقة السنوسية لمحاصرة القوات الفرنسية في واحة جانت مما أدت إلى وقوع معركة شرسة في "إسولان" انتهت بفرار الفرنسيين من الواحة بعد أن كبدتهم خسائر بشرية ومادية كثيرة، وفي سنة 1913م عادت القوات الفرنسية إلى واحة جانت وبدأت بنشر مظالمها في غياب الشيخ آمود ولما سمع بذلك قام بمهاجمتها واشتبك معها في معركة إيسين فهزمت القوات الفرنسية وبقيت الواحة مستعصية أمام المستعمرين إلى غاية 1915م[6].

وبانتهاء سنة 1915م وبداية 1916م اتسع نطاق الحركات التمردية[7] من طرف الطوارق وامتدت العمليات العسكرية للمجاهدين ضمن الحركة السنوسية إلى الهقار وهذا الدعم من اعتماد الاستعمار الفرنسي على موسى أق مستان في تمثيل نفوذها بأقاليم، فقد أقدمت مجموعة من الثوار على تنفيذ عملية تاريخية بقتل الراهب الجاسوس "دي فوكو" وذلك أول يوم من شهر ديسمبر 1916م[8]، وبعدها حدثت معركة أنكو شمال مدينة تمنراست في 1جوان 1917م أين باغَتَ المجاهدون فيها محمية فرنسية وهكذا لم تتوقف ردود فعل السكان من التواجد الفرنسي واستمرت المقاومات بشكل حرب العصابات ضد الفرنسيين وقوافل التموين إلى غاية الحرب العالمية الثانية 1945م[9].

---

[1]- العيد بشيّ، المرجع السابق، ص34.

[2]- بوعزيز، **ثورات**...، المرجع السابق، ص328.

[3]- عميراوي، المرجع السابق ، ص 65.

[4]- العيد بشيّ، نفسه، ص 34.

[5]- العربي، المرجع السابق، ص110.

[6]- العيد بشيّ، نفسه،ص34.

[7]- مريوش، المرجع السابق، ص 136.

[8]- مياسي، **قبسات**...، المرجع السابق، ص134.

[9]- مريوش، نفسه، ص .ص(139،140).

ت. **المقاومة في القسم الغربي من الصحراء:** تعد المقاومة الشعبية في منطقة الجنوب الغربي ضد التوسع العسكري للاحتلال الفرنسي إحدى الحلقات المضيئة في تاريخ المقاومة وتاريخ الجزائر المعاصر، إذ أن المقاومة في هذا القسم كشفت عن بنيتها الاجتماعية الفكرية وحتى الدينية التي تجسدت في مقاومة أولاد سيدي الشيخ ومقاومة الشيخ بوعمامة، كما كشفت عن ارتباط سكان هذه المنطقة برجال الدين والطرق الصوفية مما جعل القبائل والعشائر في هذا القسم وحتى خارجه تدعم وتنظم وتلتف حول المقاومتين، وهو ما زاد في انتشارها وامتدادها لتشمل سائر الصحراء.□

●**ثورة أولاد سيدي الشيخ** (1864-1884م): (أولاد سيدي الشيخ فرع الشراقة بالجنوب الوهراني) في عام1864م وبسبب الأوضاع المتدهورة والظلم الاستعماري قاموا بعدة ثورات ضد[1] الاستعمار الفرنسي ومشروعه التوسعي في الجنوب، أما السبب المباشر فكان ضرب الكاتب الخاص "بسي سليمان" الذي اعتبر هذا التصرف إهانة من طرف السلطات الفرنسية حيث استقال من منصبه الباشاغا مما أعطى إشارة للثورة[2] ونادى بالجهاد والتفت حوله قبائل أولاد سيدي الشيخ وانضمت إليهم قبائل الشعابنة، برزنة، وجماعة من الطوارق والخنافسة وجماعة من سكان الأرباع على رأسهم الناصر بن شهرة وقبائل الأحرار وقبائل منطقة البيض وأولاد يعقوب بناحية أفلوا[3]، وهكذا استطاعت ثورة أولاد سيدي الشيخ[4] تجنيد الجماهير من الحدود إلى الحدود (أي من المغرب إلى حدود قسنطينة)[5]. فكان أول لقاء بالعدو يوم8 أفريل 1864م حيث هاجم سي سليمان القوات الفرنسية المتمركزة في هضبة "عونيت بوبكر" وقُتل قائدها الضابط "بويتر" وأباد طابوره[6]، غير أن سليمان بن حمزة قُتل في نفس المعركة ،و خلفه أخوه سي محمد بن حمزة بعدها امتدت الثورة إلى عدة مناطق أخرى من الجنوب الغربي[7] وأمام خطورة الأوضاع على الفرنسيين وامتداد لهيب الثورة أعدوا أربعة فرق عسكرية كبيرة كلفت بمطاردة الثوار ومحاصرتهم والقضاء على حركتهم وذلك ابتداءً من 10جوان 1864م[8]، وبالرغم من هذا الدعم الكبير لم يستطيعوا الصمود أمام المجاهدين وازدادت رقعة المعركة اتساعاً لتشمل الأغواط، سعيدة، ومشرية وقام الثوار بمهاجمة الكتائب الفرنسية وتدمير مزارع المعمرين والمؤسسات الاقتصادية الفرنسية[9]. وبعد ذلك استشهد محمد بن حمزة في معركة خاضها ضد الجنرال "دوليني"

---

[1]- منور، المرجع السابق، ص211.

[2]- قداش، المرجع السابق، ص195.

[3]- المدني، **هذه هي الجزائر**...، المرجع السابق، ص154.

[4]- أحمد عبد العزيز، **في صميم الثورة الجزائرية- صحرائنا في مواجهة الاستعمار-**، دار الرحاب للنشر، الجزائر، د.ت، ص30.

[5]- عبد القادر النايلي، **المقاومة والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الأفريقية- انتفاضة الزعاطشة أنموذجاً-**، دار الهدى، الجزائر، 2013م، ص78.

[6]- سعيدي، المرجع السابق، ص574.

[7]- منور، نفسه ، ص 212.

[8]- بوعزيز، **ثورات**...، المرجع السابق، ص187.

[9]- منور، نفسه، ص212.

وخلفه أخوه أحمد بن حمزة الذي واصل الكفاح طوال سنة 1856م، وفي ربيع 1866م كما امتدت الثورة إلى منطقة الفقيق والمناطق الجنوبية[1] وخاض أحمد بن حمزة رفقة عمه "سي الأعلى" عدة معارك ضد الاستعمار من بينها معركة "حاسي بن العتاب" و"غار الفيقور" عام 1866م انتهت بخسائر كبيرة في الأرواح والعتاد لكلا الطرفين[2]. وبعدما توفي الزعيم الثالث أحمد بن حمزة بمرض الكوليرا خلفه قدور ولد حمزة الذي تعاون مع عمه "سي الأعلى" لمواصلة حركة الثورة[3]، وبعد كل هذه الأحداث تركز نشاط الثورة نهاية 1869م بمنطقة "واد غير ببشار" والحدود المغربية حيث جرت معركة "البيض"في مارس من نفس السنة. وبعد فترة قصيرة قضاها سي الأعلى ومن معه من الثوار في المغرب عاد الجميع إلى الجزائر سنة 1871م فخاضوا معركة "وادي قوليله" وذلك يوم 13مارس 1871م ومعركة "ماقورة" في أفريل 1871م- التي كانت نتيجتها التضرر لكلا الطرفين-[4]. استمرت المقاومات بعد ذلك في المنطقة إلى غاية 28 سبتمبر 1871- كانت قد وقعت معركة المنتور- وحاول الفرنسيون الغدر من "سي الأعلى" لكنهم لم يفلحوا وظل متخفياً إلى غاية وفاته 1886م ودفن بالساورة[5]. في الأخير نستنتج أن ثورة أولاد سيدي الشيخ انتشرت وامتدت لتشمل سائر الصحراء وتوغلت في بعض الأحيان حتى المناطق الشمالية والشرقية الغربية فقد كانت ملحمة ثورية امتدت من 1864 إلى غاية 1884م في كفاح دام 20سنة تقريباً.□

- **ثورة بوعمامة (1881-1904م)**: اندلعت مقاومة الشيخ بوعمامة في المنطقة الجنوبية- الغربية من الجزائر[6]، حيث تعتبر أطول ثورة في تاريخ المقاومة باعتبارها كانت امتداداً لثورات أولاد سيدي الشيخ[7]. ومن أسبابها السياسة الاستبدادية التي مارسها الاستعمار الفرنسي خصوصاً منها فرض الضرائب التي كانت نتيجتها انتشار المجاعات بالإضافة إلى استفحال ظاهرة التنصير[8]...وغيرها، غير أن السبب المباشر للثورة هو مقتل الضابط الفرنسي "بيزونر" يوم 22أفريل 1881م مع أربعة من رفقائه في الحراسة حينما حاول إيقاف نشاط بوعمامة الثوري واعتقال مبعوثيه[9] لدى الجرامنة[10]، وكان هذا الحادث بمثابة الفتيل الذي أشعل النار وفجر الثورة وزاد من حدة الصراع والصدام بين الطرفين- بوعمامة والجيش الفرنسي- حيث جرت أولى المعارك بينهما (معركة الشلالة والموريليك) يوم 19 ماي 1881م شمال بوصمغون وجنوب عين تازينة،

[1]- سعيدي، المرجع السابق، ص 575.
[2]- منور، المرجع السابق ،ص. ص (212،213).
[3]- بوعزيز، المرجع السابق، ص 201.
[4]- سعيدي، نفسه، ص 576.
[5]- النايلي، المرجع السابق، ص79.
[6]- خليفي، المرجع السابق، ص 31.
[7]- سعيدي، نفسه، ص 602.
[8]- منور، نفسه، ص266.
[9]- مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب**...، المرجع السابق، ص95.
[10]- بوعزيز، نفسه، ص. ص (202،203).

ونظراً لكثرة الخسائر الفرنسية في هذه المعركة استغل بوعمامة هذه الاضطرابات وأخذ يتقدم نحو البيض والقودير[1] والسعيدة وتيارت ومعسكر شمالاً بمناصرة مجموعة من القبائل[2]. إذ أن الشيخ بوعمامة قاوم الاستعمار الفرنسي بذكاء خارق واتبع خطة محكمة عسكرياً باستخدام "حرب العصابات" في عمليات سريعة[3]، فقام الثوار خلال هذه المسيرة بقطع خطوط التلغراف ومهاجمة المراكز الفرنسية وخربوا الكثير من العتاد كما استولوا على قطعان بعض الأعوان الفرنسيين. ونتيجة انتصاراته في عدة عمليات عسكرية كسب انضمام الأغواط وسطيف وتيارت...الخ من المناطق الثائرة. ورغم كل المحاولات التي قامت بها فرنسا لتحطيم المقاومة إلاّ أن الشيخ بوعمامة بقي سيد الموقف[4]، وفي شهر سبتمبر وأكتوبر تعرض " كولوبيو" و"لويس" وغيرهما من القوات الفرنسية إلى هجوم الثوار قرب عين الصفراء وخلفوا العديد من القتلى والجرحى[5] في صفوف الجيش الفرنسي وكانت من بين أهم التطورات الهامة التي حصلت خلالها هو انضمام سليمان بن قدورة زعيم فرع الغرابة إلى حركة بوعمامة وهذا ما دفع بالفرنسيين إلى تركز قواتهم في كل من عين الصفراء، عين بن خليل، العريشة، رأس الماء، مشرية، البيض، سعيدة وفرندة وأقاموا خطاً دفاعياً على مناطق التل مما دفع بوعمامة إلى الانسحاب إلى منطقة فقيق داخل المغرب الأقصى فقلَّ نشاطه وشُتت أتباعه[6]. وبقيت فرنسا تلاحق جيوب الثورة كما لاحقت بوعمامة نفسه الذي رد عليها بهجوم عنيف يوم16 أفريل1882م في شط تقري حيث وقعت ملحمة كبيرة كبّدت القوات الفرنسية خسائر فادحة ولذلك قامت الحكومة الفرنسية ببعث برقية تدعو فيها السلطان المغربي ليطرد الشيخ بوعمامة لذلك غادر فقيق واحتمى بسكان توات واستقر بواحة القرارة إلى غاية 1894م بعد أن انضم إليه أنصارها ووقف ضد التوسع الاستعماري[7]. وتشير بعض المصادر التاريخية على أنه اشترك في معركة "ولدول" بقورارة 1886م عن اتصاله بالشيخ السنوسي في ليبيا وانتقل إلى فقيق كما قيل أنه طلب العفو والأمان من السلطات الفرنسية من 1883م إلى غاية 1904م وحين حصل على الأمان أتّم ما بقي من حياته إلى غاية وفاته في أكتوبر 1906م[8]. □

[1]- خليفي، المرجع السابق، ص 279.

[2]- مياسي، **توسع**...، المرجع السابق، ص98.

[3]- منور، المرجع السابق ، ص 271.

[4]- بوعزيز، نفسه، ص305.

[5]- مياسي، نفسه، ص. ص(100،101).

[6]- بوعزيز، نفسه، ص307.

[7]- مياسي، نفسه، ص. ص(100-104).

[8]- بوعزيز، نفسه، ص. ص(310-314).

2. الطرق الصوفية وزوايا العلم بالصحراء الجزائرية ودورها في الحفاظ على الموروث الحضاري.□

ارتبطت الحركة الإصلاحية ارتباطاً وثيقاً بالزوايا والطرق الصوفية وفحواها، حيث اجتهد القطر الجزائري قديماً في طلب العلم بجميع أسبابه وأتاه من سائر أبوابه ووقف على معقوله ومنقوله، فمكّن من أصوله وفصوله وكان للعلوم وقتاً جامعاً ولرايتها رافعاً مثل أخويه المغرب الأقصى والأدنى فظهر بالأقاليم بدره واشتهر في التاريخ قدره[1]، ولا يستطيع أن يغفل الإنسان الوظيفة الروحية والدينية التي قامت بها الأنشطة الإصلاحية إذ تعتبر هذه الوظيفة المكملة والداعمة لدورها في تكوين وتخريج القيادات بل وبدورها القيادي سياسياً وعسكرياً في المجتمع وليس العكس. بمعنى أن دورها الروحي والديني والتعليمي يشكل مرجعية تتولى حماية المجتمع من التبدد والذوبان، وهي التي تقوم بالدفاع عن كيانه ووجوده وحجر أساسي لتماسك البنية الاجتماعية بكل أبعادها الروحية والمادية لأجل انتصار الهوية والانتماء[2].

ولما توسعت الامتيازات الأوربية في العالم العربي خاصة والإسلامي عامة خلال القرون 17 و18 و19م كثرت حملات التكفير (التبشير بالنصرانية) وتطور دور الزوايا والطرقية فأصبحت تتولى مهمة الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية للأمة وحفظ أركانها والتصدي لمحاولات الطمس التي باشرها المستشرقون والمبشرون النصرانيون، فاهتموا بتدريس التاريخ والغزوات والسيرة وتعليم القرآن والفقه والعقيدة وعلوم اللغة وآدابها، ولم يصبح دور الزوايا مقتصراً على تلقين الأذكار والأوراد فحسب بل تعداه إلى التعليم والتربية والجهاد بالقلم والسيف والقرطاس، وأصبحت الزاوية بعد ذلك معهداً ورباطاً يؤمه الطلاب والمجاهدون. وعندما ابتليت الجزائر بالاستعمار وحاولت فرنسا بواسطة مبشريها كشارل لافيجري وأمثاله بث سمومها في هذا البلد لتوطيد أركانها نهضت الزوايا وما تبعها من طرقية بمهمة الدفاع عن مقومات الأمة عسكرياً وعلمياً وسياسياً، ولا يستطيع أحد أن ينكر دور زاوية الشيخ محي الدين وقائدها المغوار الأمير عبد القادر مؤسس الدولة، ولا دور زاوية سيدي الشيخ وزاوية بوسعادة وواد سوف وزوايا الجنوب وزاوية تيماسين التيجانية وغيرهم من أبناء الزوايا والطرق الصوفية في المقاومة العسكرية والاجتماعية والثقافية والعقائدية. وقد أورد الشيخ أحمد توفيق المدني في مؤلفه "كتاب الجزائر" ما نصه: «لا تزال للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبرى ونفوذ عظيم كما هو الشأن في بلاد المشرق خاصة في أرض مصر...إن لبعض الطرق الصوفية بقطرنا

[1]- خليفة مزياني، **الزوايا في المقاومة الوطنية**، في: أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة الجزائرية، (جامعة السانيا، وهران، 2005م)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص293.

[2]- محمد الطاهر العدواني، **الزاوية تقود المقاومة وتشارك في حرب التحرير**، في: أعمال الملتقى الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة الجزائرية، (جامعة السانيا، وهران، 2005م)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص. ص(81،82).

هذا مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذا البلاد في عصور الجهل والظلمات..»[1]

ومن السمات التي ميزت الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ككل موقفها من الحركات المضادة للشريعة الإسلامية، فكان لعلماء الطرقية موقف محكم من هذا ولهم دور الفضل في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة مثل الأمراء وشيوخ العشائر والولاة أو الأجنبية الاستعمارية. فقد قادت تنظيم الجهاد وإصلاح المجتمع وذلك بتعبئة الجماهير وتجنيدها من أجل الدفاع عن ديار الإسلام والمسلمين وحمايتها من الغزاة المعتدين، ومحاربة البدع والأفكار المجوسية واليهودية التي بدأت تنتشر بذورها في أوساط المجتمع الإسلامي[2]. فقد قامت الطرقية بدور محموداً وجهداً مشهوداً في نشر الإسلام في غرب القارة ومثل هذا الدور في نشر تعاليم الإسلام وإسقاط تعاليم المسيحية التي كانت تنتشر منذ القرن15م، والدعوة للتسامح واستخدام وسائل الترغيب لا الترهيب في نشر الدعوة الإسلامية السمحاء وإنّما الإقناع بالحجج والبراهين[3].

أ.نبذة تاريخية عن الزوايا والطرق الصوفية في الصحراء الجزائرية: نشأت الزوايا في القرن 12م في عهد المرابطين، وكان يطلق على مقر المرابط في حياته أو بعد مماته الزاوية التي يكون قد أسسها بنفسه أو أُسست على ضريحه من بعده من طرف الأتباع[4]، وتوسعت على يد منظمات الطرق الصوفية حيث جمعت بين العبادة والتعليم والمقاومة، هذه الهيئات ليست طوائف sect es بل هي تكوّن مختلف المنظمات ذات الطابع الديني والعقلاني وكانت تعتبر مؤسسة دينية وثقافية واجتماعية وعسكرية، جمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه والحرب في وقت الخطر[5]، كما أنها اسمها دالٌ على معناها وهي زوى يزوي إذا جمع الشيء وهي بذلك الجامعة لكونها تجمع العباد على حب الله ورسوله فقد احتضنت الزوايا الدينية اللغة والثقافة العربية الإسلامية ونشرتهما وحافظت عليهما لقرون طويلة من الزمن وكان ذلك شكلاً من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة، كما عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات المختلفة[6] وجمعت بينهم على حب الله والاعتصام والتعاون على البر ووضع الكف على الكف لمجابهة كل ما يسعى إلى تغييرهم

---

[1]- الحبيب بن عودة، **دور الطرق الصوفية أثناء ثورة التحرير الكبرى**، في: أعمال الملتقى الوطني الأول...، المرجع السابق، ص ص (145،146).

[2]- عبد الرحمان حرمة، **الدور الديني والاجتماعي والثقافي للطرق الصوفية بإقليم توات خلال القرنين 17-18م**، مذكرة ماستر، غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013م، ص53.

[3]- عبد الرزاق عبد الله، **انتشار الإسلام في غرب أفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006م، ص6.

[4]-محمد الطاهر فيلالي، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن الغرافيكي، ط1، باتنة، الجزائر، د.ت، ص 23.

[5]- مزياني، المرجع السابق، ص. ص(293،294).

[6]- محمد مكحلي، **دور الزوايا الإصلاحي في تحضير ثورة التحرير**، في: أعمال الملتقى الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة الجزائرية، (جامعة السانيا، وهران، 2005م)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص278.

وإخراجهم مما هم عليه، فلقد بذلت الزوايا جهودا كبيرة لمقاومة الفرنسة والتنصير وعملت على حماية الشخصية الإسلامية العربية فشكلت بذلك نواة لمقاومة النظام الاستعماري، وتعد الطريق الصوفية عنصراً أساسياً في الإسلام في الجزائر منذ القرن 16م وتعددت عبر الوطن ومنها من أنشأت مدارس وزوايا التي امتازت بنوعية التعليم ومحاربة الاستعمار. ويرى بعض المؤرخين أن معظم الثورات الجزائر المناهضة للاحتلال الغاشم والتي وقعت خلال القرن 19م كانت قد أعدت ونُظمت ونُفذت بوحي الطرق الصوفية[1]، وأهم الطرق التي كانت منتشرة في الصحراء الجزائرية وكان لها دور في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي خلال القرن 19م هي الطريقة السنوسية.□

ب. الطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية في مواجهة الاستعمار (السنوسية أنموذجاً): لعب التصوف دوراً هاماً في تاريخ المغرب الأوسط وازداد هذا الدور منذ الوجود العثماني بالجزائر بداية من القرن 10ه/16م، وهذا لعدة اعتبارات أهمها رعاية العثمانيين له من جهة ومن جهة أخرى بداية ظهور ما اصطلح عليه عند المتصوفة بالطرق الصوفية، ورغم كون الجو العام للجزائر في الفترة العثمانية من الناحية الدينية يغلب عليها مظهر الطرقية إلاّ أن العلاقة بين العثمانيين وهذه الطرق لم تكن دائمة على ما يرام باعتبار أن أهم هذه الطرق (الطريقة الدرقاوية) كانت في مواجهة مع الدولة العثمانية في هذه الفترة، و إلى جانب هذا النوع من الطرق كانت هناك طرق أخرى ظهرت أواخر العهد العثماني في الجزائر وكان لها دور هام سواء دينياً أو سياسياً بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر[2]استطاعت أن تقف الند في وجه توسع الأطماع الفرنسية من بينها الصحراء. ويبرز هذه المواقف الرحالة "بارودون" بقوله: «..كان لنا اتصالات معهم في الجزائر، ولا شك في أنهم شاركوا في التمرد ضدنا، ولكننا لا نعرف الدور الحقيقي الذي لعبته...بعض الطرق تبدو مسالمة، القادرية والتيجانية، ودعموا قضيتنا، والعكس بالنسبة للرحمانية والدرقاوية والسنوسية، وخاصة هذه الأخيرة التي أبدت عداءاً واضحاً لنا، وكانت تمثل الخصم العنيد الذي عرقل توسعنا بالصحراء الوسطى...»[3].

وسنركز في هذه الدراسة على الطريقة السنوسية التي قامت بدور مهم في الدفاع عن الإسلام بالجزائر ضد الكفار الفرنسيين. وتعتبر السنوسية دعوة إسلامية إصلاحية تجديدية روحية على أساس الكتاب والسنة تنتسب إلى محمد بن علي السنوسي المولود بالجزائر عام 1787م والمتوفى عام 1859م[4]، حيث كان متأثراً بتعاليم الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وخاصة أفكارهم السلفية في مجال العقيدة[5]. وقد سار على نهجه مشايخ الصوفية الذين سلكوا مسلكه ومنهم الإمام عبد الحميد بن باديس إذ أخذت

[1]- مزياني، المرجع السابق، ص293.

[2]- سعدي شخوم، **دور الرحمانيين في المقاومة الشعبية**، في: أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا...، المرجع السابق، ص219.

[3] - Baraudon , IBID,p158.

[4]- دواس، المرجع السابق، ص 61.

[5]- محمد عبد الحميد محمد، **الصوفية والجهاد في سبيل الله**، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص 61.

دروسه تجتذب إليها الفدائيين الصالحين، لا من مدينة قسنطينة وحدها بل من كل جهات المشرق الجزائري وغربه ووسطه وجنوبه الكبير[1].

ظهرت في ليبيا وعمَّت مراكزها الدينية شمال أفريقيا والسودان والصومال وبعض البلاد الإسلامية تأسست خلال القرن 19م، وتعد واحة "جغبوب" في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس مركز الدعوة السنوسية ففي هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة ثم يرسلون إلى كافة أجزاء أفريقيا الشمالية والواحات البعيدة حيث أصبحت تلك الزوايا المنتشرة في ربوع البلاد الجنوبية مراكز تعليم ديني صوفي ومراكز عبادة وتدريب على أعمال الجهاد ضد المحتلين الأجانب[2] ولذلك نجد السنوسية متميزة عن الطرق الأخرى كونها تعتمد على التنظيم العسكري إلى جانب التنظيمات الأخرى (الروحية والعلمية والتجارية)[3] وقد بلغت زواياها الفرعية 121 زاوية تتلقى من زاويتهم الرئيسة التعليمات والأوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع أمر الدعوة[4]، وانتشرت هذه الدعوة في أفريقيا الشمالية كلها وامتدت زواياها من مصر إلى مراكش ووصلت جنوباً إلى الصحراء في السودان والصومال وغرباً إلى الجزائر وانتشرت كذلك في خارج أفريقيا حيث وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى، كما استطاعت السنوسية أن تنشر الإسلام في القبائل الوثنية الأفريقية وتؤسس المدارس التعليمية والزوايا، و لم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد إلى النساء والأطفال من الجنسين. واستعانت في دعوتها بالنساء لنشر الإسلام بين نساء القبائل الوثنية[5]، وبعد احتلال مناطق الجنوب الجزائري من طرف القوات الفرنسية أواخر القرن19م وخاصة الهقار والطاسيلي، قامت الطريقة السنوسية بتجنيد إخوانها في محاربة الاستعمار ومن بين أشهر الثورات التي انطلقت باسمها نجد: (مقاومة "السلطان محمود" في جانت سنة1915م، مقاومة "سيدي محمد العابد" في طاسيلي سنة 1916م، الانتفاضة التي قادها "أبوح أق أغابلي" في الهقار أين أغتال المبشر "دو فوكو" في 1916م، وأخيراً مقاومة "أمين العقال فيهيروم" في طاسيلي ناجر بين 1915و 1918م[6].

ت. زوايا العلم بالصحراء الجزائرية في مواجهة الاستعمار (زاوية الهامل أنموذجاً): إن الزوايا في حقيقة الأمر كانت لها أيضًا الريادة في تشجيع المقاومات الشعبية ومواجهة السياسة الاستعمارية –خاصة الثقافية والاجتماعية منها– ومكافحة كل محتل كان يريد تحطيم الكيان الجزائري العربي الإسلامي. ومن بين

[1]– عبد الحميد محمد، المرجع السابق، ص62.

[2]– نفسه، ص63.

[3]– عبد القادر زبادية، **دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات الغرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م، ص238.

[4]– دواس، المرجع السابق، ص63.

[5]– عبد الحميد محمد، نفسه، ص63.

[6]– مزياني، المرجع السابق، ص302.

زوايا الجنوب أخذنا أنموذجاً عن الدور التي كانت تقوم به من أجل ذلك وتهدف إلى المحافظة على الهوية العربية ومقومات الإسلام التي طالما كان الإنسان الجزائري يعتز بها. ومن بينها نجد زاوية الهامل التي تأسست عام 1863م على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم وتقع الزاوية إلى الجنوب الغربي من مدينة بوسعادة على بعد 10كلم[1] وهي تتبع الطريقة الرحمانية[2]. ولزاوية الهامل مجهود تعليمي كان في حد ذاته مقاومة لأن الفكر التي قامت عليه مقاومة الزوايا للسياسة الاستعمارية هي فكرة الفعل المضاد ومعنى ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه الاستعمار يقوم بتهديم المدارس، كانت الزوايا تبنيتي المدارس، وفي الوقت الذي كان فيه الاستعمار ينشر الأمية كانت الزوايا تقوم بعملية التعليم بالاعتماد على نمطين في التلقين هما التعليم العام الموجه للعامة وهذا لم تختلف فيه زاوية الهامل عن باقي الزوايا، والمتمثل في الدروس التي كانت تلقى دورياً في مسجد الزاوية وفي ساحتها الموجه للعامة، وكان محورها يتمحور حول الوعظ والإرشاد والوحي إلى المقاومة حث الشعب الجزائري على التمسك بدينه في نفس الفترة التي كانت فيه السلطات الاستعمارية تسعى للقضاء على الدين الإسلامي. أما النمط الثاني من التعليم الذي وُجد بالزاوية وهو التعليم النظامي الموجه للطلبة، ونقصد به ذلك التعليم القائم على المناهج العلمية المضبوطة ويجتاز خلالها الطالب مراحل محددة، وكان يخضع أثناء عملية التدريس مصفى لا يحيد عنه[3]، وللزاوية عدد هام من الخريجين مما يدل على تأثيرها ومحاربتها لسياسة الاستعمارية من خلال هؤلاء إذ لم تتوقف الزاوية عن أداء دورها التعليمي منذ تأسيسها واستمرت في القيام بواجباتها طيلة الفترة الاستعمارية أي منذ 1863م إلى غاية 1962م وبالتالي استطاعت أن تقاوم الاستعمار من خلال توفير عدد كبير من المعلمين وفتح عدد كبير من المدارس وتوفير التعليم المجاني لعامة الناس، وهي بذلك قضت وحاربت سياسة الاحتلال التي كانت تهدف إلى تجهيل الشعب الجزائري[4].

إن مقاومة الشعب الجزائري للاستعمار لم تقتصر على حمل السلاح ومواجهته بالقوة فحسب، بل كانت المقاومات متعددة الأشكال والألوان وكانت الزوايا من أهم عناصر المقاومة، التي تمثل الجدار المنيع لسياسات التجهيل والفرنسية والتنصير التي انتهجتها السلطات الاستعمارية، بالرغم من أن تلك المؤسسات (الزوايا والطرق) كانت تقليدية ضعيفة ومتخلفة تتبع أساليب عتيقة وغير ملائمة مع ما كانت تشهده الساحة الدولية من تطورات مما ضيق من أفق المتعلمين الفكري. إلاّ أنها حافظت بطريقة وأخرى خلال العهد الاستعماري على الهوية الوطنية من خلال مواجهتها للعدو الأجنبي في معارك طاحنة قدم فيه الشعب الجزائري

[1]- عيسى بلقبي، **الزوايا في مواجهة السياسة الثقافية الاجتماعية الاستعمارية– زاوية الهامل نموذجاً**–، في: أعمال الملتقى الوطني الأول...، المرجع السابق، ص. ص(287،288)

[2] - **الرحمانية**: هي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلوتية ونُسبت إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري في قبائل جرجرة...للمزيد. يُنظر، فيلالي، المرجع السابق، ص40.

[3]- بلقبي، المرجع السابق، ص. ص(288،289).

[4]- نفسه، ص. ص (290-292).

النفس والنفيس. ومن خلال احتضانها اللغة العربية والدين الإسلامي في المدارس والزوايا في وقت كانت فيه الأوضاع مزرية والأفواه مكممة والحرب معلنة شعواء على كل ما يمت بصلة لأصالة الشعب وهويته الوطنية[1]. ويشير هنا الشيخ سعد الله إلى أن قادة الجهاد في القرن 19م كانوا يمثلون الاتجاه التقليدي، وأنهم كانوا أكثر ايجابية في قيادتهم للجماهير الشعبية، وهو يعني بذلك رجال الطرق الصوفية (المرابطين والزوايا باختلاف جذورها)[2].

[1]- عبد القادر خليفي، **دور الطرقية في المحافظة على الهوية الوطنية**، في: أعمال الملتقى الوطني الثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، (دار الثقافة، تلمسان، 2006م)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص. ص (105-107).

[2]- نفسه، ص104.

الخاتمة

شهد إقليم الصحراء على غرار كل الأقاليم الجزائرية الأخرى الكثير من الحوادث خلال الفترة الاستعمارية، حيث كان مسرحاً لمواجهات عسكرية دامية وغير متكافئة بين أبنائها والقوات الفرنسية الغازية التي استخدمت كل إمكاناتها من أجل إخضاع هذا الإقليم والسيطرة عليه، ثم إدارته بما يخدم مصالحها ويستجيب لمخططاتها التي استهدفت هذه المنطقة، فالقوات الفرنسية لم تغامر في تحركاتها نحو الجنوب وإنّما اتبعت إستراتيجية مدروسة، وهو الأمر الذي عملنا على متابعته من خلال دراستنا قصد التعرف على منطلقات هذه الإستراتيجية ومختلف الأساليب والوسائل المتبعة من أجل تحقيقها ومن جملة الاستنتاجات التي توصلنا إليها في ختام هذا البحث المتواضع:

- أن الصحراء الجزائرية إقليم شاسع يحتوي الكثير من الثروات المتنوعة التي شكّلت عامل جذب للمحتل، الذي سخَّر كل طاقاته لاحتلال هذا الإقليم.
- إنه رغم التنوع البشري بالمنطقة إلاّ أنها كانت تعرف الهدوء والاستقرار قبل وصول الغزاة.
- أن الصحراء الجزائرية كانت ضمن أجندة الاحتلال منذ البداية، وهو الأمر الذي يتضح من خلال عمل البعثات الاستكشافية والرحلات العلمية(؟!) التي كان الكثير من رجالها وروادها ضباط عسكريون، بالإضافة إلى نشاط الجواسيس .
- أن القوة العسكرية كانت من أهم الأساليب التي طُبقت علي سكان الصحراء من أجل إخضاعهم وفرض السيطرة عليه، وهو الأمر الذي يتضح من خلال عدد الحملات العسكرية طيلة القرن التاسع عشر ميلادي وكذا تعداد أفراد هذه القوات وحجم الدمار والتنكيل الذي طال مختلف القبائل وكذا اعتبارها إقليمًا عسكريًا لفترة طويلة.
- أن الصحراء لم تكن بمعزل عن القطر الجزائري فالاستعمار مارس على أهلها مختلف الأساليب وطبَّق عليهم مختلف القوانين التي خضع لها باقي سكان الجزائر كقانون نزع الملكية والضرائب والمصادرات والملاحقات والتصفيات...
- أن الأراضي الشاسعة، والمسالك التجارية، والثروات المختلفة، كانت من أهم العوامل التي دفعت بالفرنسيين لتطبيق استراتجيات الإخضاع المختلفة على إقليم جنوب الجزائر.
- أن المحتل استهدف الصحراء الجزائرية من أجل التوسع والاستيطان وليس لمجرد متابعة قادة المقاومة كما زعم مؤرخوه، والمشاريع الفرنسية التي أنجزت من أجلها الدراسات على غرار مشروع البحر الداخلي الصحراوي، وخطوط السكة الحديدية سواءً الفرعية أو الخط العابر للصحراء لم تكن في خدمة الجزائريين بل جاءت من أجل تحقيق الربح والرفاهية والثروة للمحتل والكولون الذين توافدوا على هذا الإقليم واستولوا على مساحات شاسعة من أراضيه واستخدموا أبناءه كيد عاملة رخيصة لزراعة الواحات، والعمل في شركات التعدين على غرار شركة لافارج وسيطروين...

- أن الجانب الثقافي والحضاري للمجتمع الجزائري والصحراوي تعرَّض لأبشع السياسات الاستعمارية التي استهدفت طمس الهوية الثقافية لهذا الأخير من خلال حملات التبشير والقضاء على مقومات المجتمع ومحاربة الدين الإسلامي من خلال محاولة تنصير أبناء المسلمين ومصادرة القضاء الشرعي واستبداله بنظام قضائي مدني، وزرع الخرافة والبدع أوساط المجتمع بواسطة سياسة التجهيل واستغلال الأوضاع الاجتماعية المزرية الناجمة عن السياسات الاقتصادية المطبقة وكذا الظروف الطبيعة كالجائحات والأوبئة.

- أن سياسة التفرقة وزرع النعرات بين مختلف مكونات المجتمع بالجنوب كانت من بين الوسائل التي ساعدت الاحتلال في إضعاف المنطقة وسهلت تقدم قواتها، فقد استطاعت السلطات الاستعمارية من خلال المكاتب العربية والجواسيس والمال الامتيازات من استمالة العديد من القبائل وضعاف النفوس واستخدامهم لضرب إخوانهم وفرض القوانين الفرنسية التي تصب في منحى الإخضاع التام للفرنسيين.

- أن استمالة شيوخ بعض الطرق الصوفية والزوايا واستغلال نفوذهم كان من بين الوسائل التي استعانت بها فرنسا بالجنوب الجزائري ما أحدث شرخًا كبيرًا بين صفوف المسلمين فمنهم من عارض الاحتلال وقاومه ومنهم من كان يدًا طيِّعة في يد فرنسا.

- أن سكان المنطقة لم يستسلموا بسهولة لهذه السياسات التي استهدفت وجودهم ما جعلهم يدخلون في مواجهات عسكرية ألحقت العديد من الهزائم بالفرنسيين، وعندما انتهت هذه المواجهات بالفشل لجأ سكان الصحراء إلى المقاومة السلبية والتي كانت لها أشكال متعددة كالهجرة والنزوح إلى الأقطار المجاورة رفضاً لحكم الرومي الكافر، والمقاطعة الاقتصادية لمنتجاته، والتهرب من دفع الضرائب وإنشاء التجارة الموازية (التهريب) هذه الأخيرة التي كانت من أهم الوسائل التي لجاء إليها الجزائريون بالصحراء لمقارعة الاحتلال، ولعل دعم التعليم العربي وتمويل المدارس والتكفل بطلبة العلم وحصر التعامل بين مختلف فئات المجتمع في إطار القضاء الشرعي (البيع والمشترى، والزواج والطلاق، ومختلف المعاملات...) لخير دليل على تمسك مجتمع الصحراء بمقومات شخصيته الإسلامية. وكانت هناك حالات كثيرة لجأ فيها سكان الصحراء خلال هذه الفترة للمواجهة المباشرة رفضاً لسياسة التنصير والتجنيس الفرنسي على غرار ما وقع لبعثة فلاترز التي تبرز بجلاء حالة الوعي الديني والسياسي التي كانت سائدة عند أبناء الجنوب بالمخططات الفرنسية في إقليمهم.

ومن جهة أخرى فإنه ورغم الآثار السلبية لإستراتيجية الاحتلال على أبناء الجنوب إلّا أنها كانت عاملاً من العوامل التي حفزت هؤلاء على القيام بالعديد من ردود الأفعال تجاه الغزاة والتي انتشرت في كامل مناطق الصحراء أسوة بما كان قائماً في باقي الأقاليم الجزائرية الشيء الذي ساهم

في بروز الوعي الوطني بأهمية هذا الإقليم باعتباره جزء لا يتجزأ من القطر الجزائري، ورغم النتائج المتوصل إليها فان هناك الكثير من النقاط التي تحتاج إلى مزيد من البحث على غرار التفجيرات النووية ومصادر المواد المشعة المستعملة وعن مراكز دفن النفايات وغيرها من الأمور التي لا زالت تشغل بالنا.

الملاحق

الملحق رقم 04: خريطة جغرافية وطبيعية لموقع الصحراء الجزائرية

الملحق رقم 05: عينات من تحليل مخبري للتربة في الصحراء'' البحث عن المعادن'' المصدر ''قوتيبه ''مرجع سابق

APPENDICE VIII

NITRATES D'OULED MAHMOUD
ANALYSE DÉTAILLÉE

par M. POUGET, *professeur de chimie à l'École des sciences d'Alger.*

Échantillons de nitrates.

N° 1. — *Terre à nitrates.*

Résultats analytiques.		Composition p. 100.	
Humidité	0,9 p. 100.	Azotate de potasse (AzO^3K)	0,9
Résidu insoluble dans l'eau	27,6 —	Azotate de soude (AzO^3Na)	4,1
Az^2O^5	3,45 —	Chlorure de potassium (KCl)	5,4
K^2O	3,9 —	Sulfate de soude (SO^4Na^2)	14,2
Na^2O	29,3 —	Chlorure de sodium (NaCl)	44,4
Cl	31,2 —	Chlorure de magnésium ($MgCl^2$)	3,8
SO^3	8,05 —	Chlorure de calcium ($CaCl^2$)	1,2
MgO	1,6 —	Humidité	0,9
CaO (traces de brome)	0,6 —	Résidu insoluble	27,6
			99,5

Remarque : L'ensemble des azotates contenu dans la substance équivaut à 5,35 p. 100 d'azotate de soude ou à 6,45 d'azotate de potasse.

N° 2. — *Nitrates (salpêtre).*

Résultats analytiques.		Composition p. 100.	
Humidité	4,1 p. 100.	Azotate de potasse (AzO^3K)	56,4
Résidu insoluble	1,3 —	Azotate de soude (AzO^3Na)	33,7
Az^2O^5	52,3 —	Chlorure de sodium (NaCl)	2,6
K^2O	25,2 —	Sulfate de soude (SO^4Na^2)	1,0
Na^2O	14,1 —	Chlorure de magnésium ($MgCl^2$)	0,5
Cl	2,0 —	Chlorure de calcium	0,02
SO^3	0,6 —	Humidité	4,1
MgO	0,2 —	Résidu insoluble	1,3
CaO	0,02 —		99,62

الملحق رقم ى4: خريطة رقم ....حملة الجنرال (كفالينياك- / !Db] !ë ! /) في الصحراء الجزائرية

المصدر: FELIX JAQUOT, EXPEDITION DU GENERAL CAVALGNIAC,PARIS,1849.

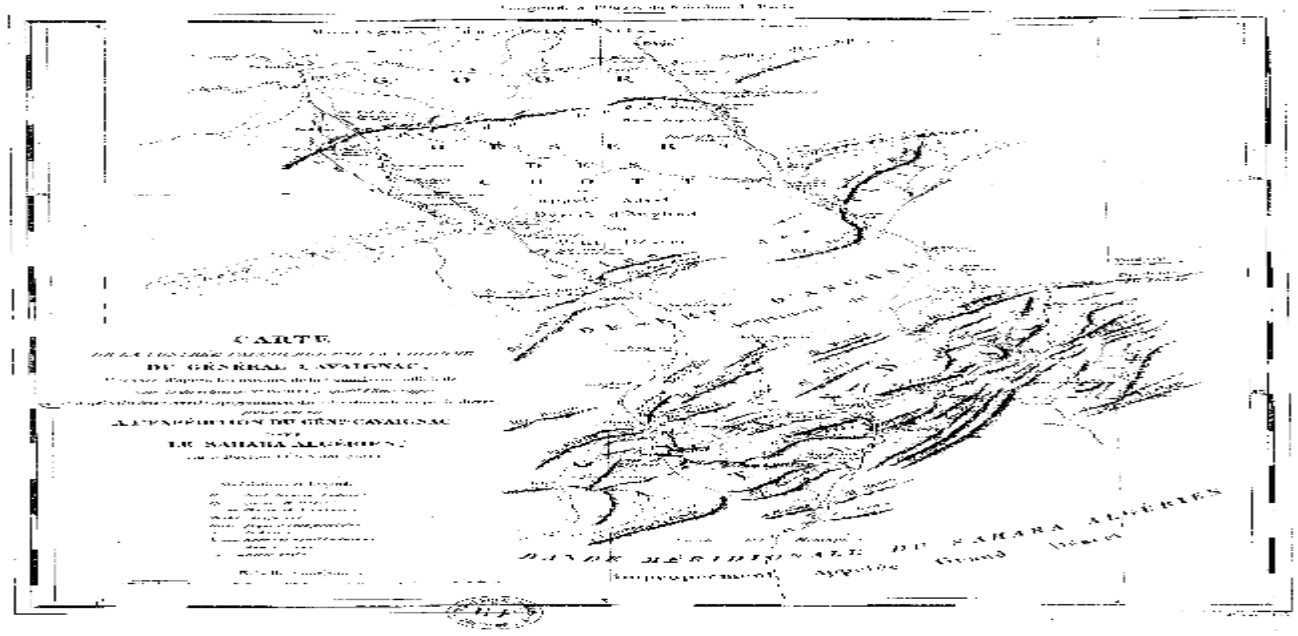

الملحق رقم ى4: منظر من الصحراء الجزائرية

E-F GAUTIER ,SAHARA ALGERIEN ,T1 ,LIBRAIRIE ARMAND COLIN ,PARIS ,1970,France

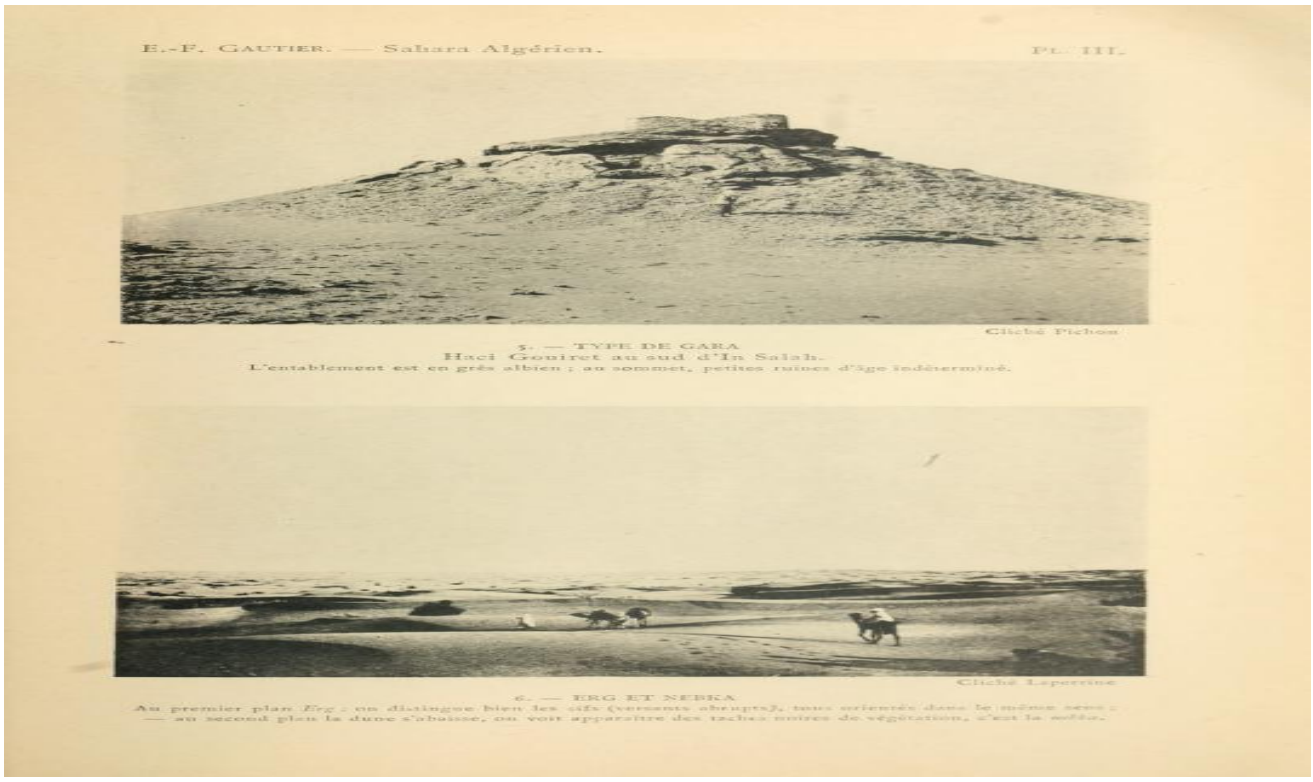

الملحق رقم يه: أنموذج أولي لخريطة جيولوجية بمنطقة''تيديكلت و احنات" المصدر "قوتييه''مصدر سابق.

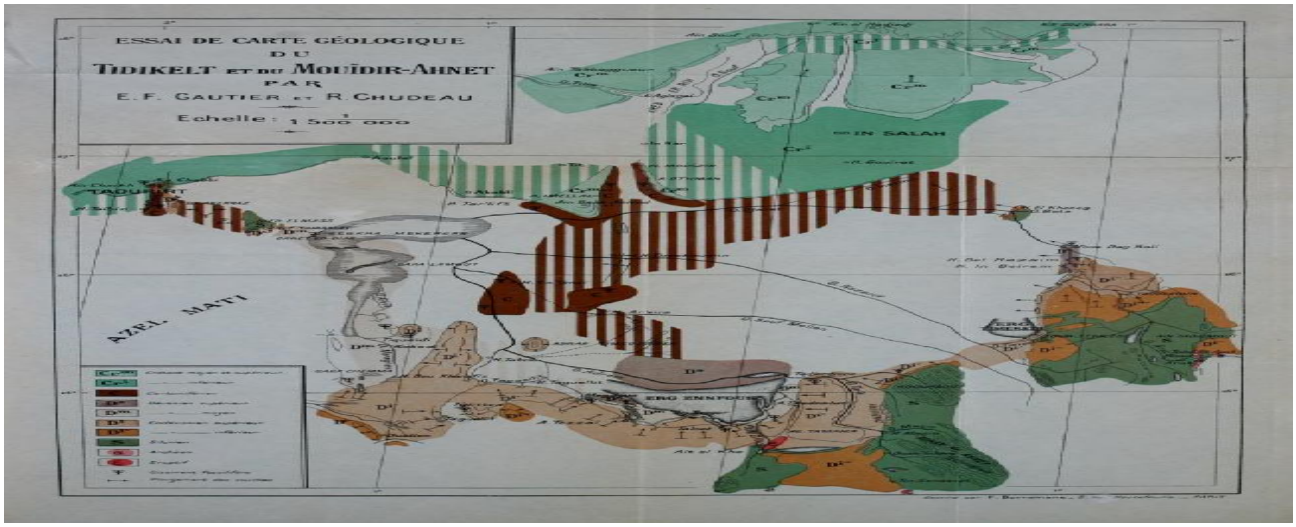

الملحق رقم يه: صور لشخصيات عسكرية ودينية ساهمت في اختراق فرنسا الاستعمارية للصحراء الجزائرية

إ ا إاردت	رة ا اط ا"
	" خ االرق وهلآو-ىهلآو

زيارة الجنرال تلاريفييه ت[ÄmósÇ] إلى بسكرة شهر فبراير وهلآو.

Regard sur les fonds privés, le fonds D87 : « Campagne de reconnaissance du lieutenant Guillo Lohan au Sahara (1900-1903) ».

الملحق رقم يه: صور لشخصيات عسكرية ودينية ساهمت في اختراق فرنسا الاستعمارية للصحراء الجزائرية

الملحق رقم يه: واقع المجتمع الصحراوي الجزائري

–صورة ملتقطة بين يه يه آ و– ى يه آ و بمنطقة ميزاب

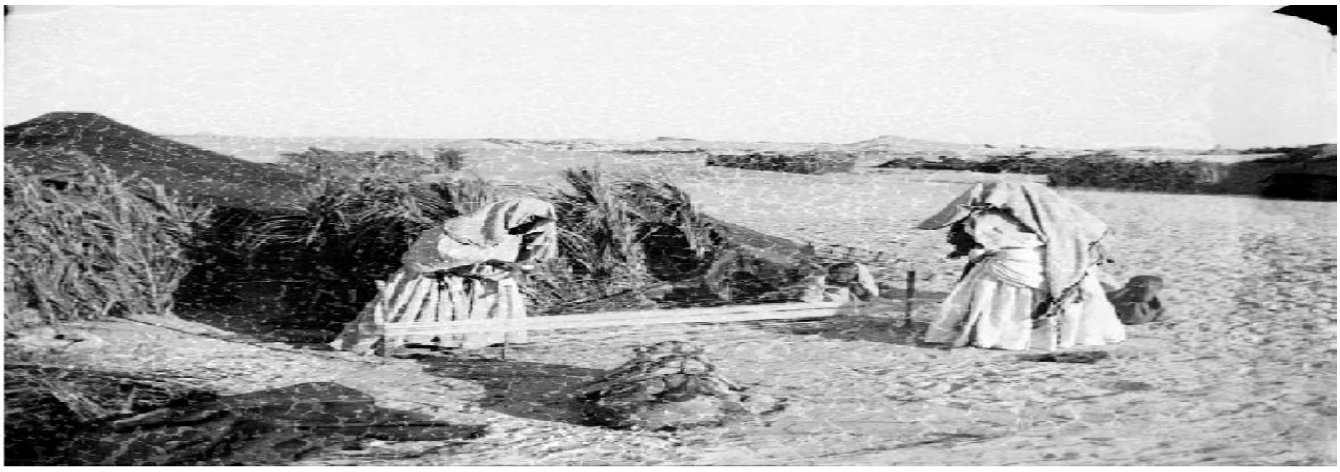

صورة تعكس واقع المرأة بالصحراء الجزائرية– و يه آ و

الفهارس

أ

إتيان 13
أحمد باي 62-65
أحمد باي بن شنوف 32
أحمد بن حمزة 71
أحمد بن سالم 31
أحمد بيللو 33
الإدريسي 9
أدريان 34
أردبيون 34
إسماعيل بوضربة 24
إشتاركي 34
ألكسندر تروفيمورسي 28
ألفرد بادودون 11-12
الأمير عبد القادر 3-65
أمود 33 -34-68-96
الأمينوكال 33
أندري مارتن 47
أنطوان دوبوش 17
أهتفال محمد بيسكا بن الحاج بكري 68
أو36
أوليدون 6-7
أوليفي 19
إيزابيلا 16
أيزابيل إبرهاردت 11-12-28-29

ب

بارال 31
بادرون 11 -12-75
باروكان 29
بان 32-36-70
برادول 12
براسيفتش 28
براغد 25
برتوون 36
بورتاكي 31
بريفوست برادول 13
ابن بطوطة 9
بوعكاز 40 -62-69
بوعمامة 34-70-71-72
بول آزان 45
بول ماربول 21
بومقارتن 35-36
بونابرت 28
بوهارد 15
بوبير 70
بيجو 13-33-54
بيري 34
بيوت 26
بيوتي 11

ت

تاربوسكيه31

ج

جاكوبي حيابيي 28
جان 32
جورج رولاند 7-11
جول كامبون 7
جونار 37

ح

الحاج بن الدين الاغواطي 10
الحاج مهدي بن جودة 35
الحاج موسى 31
حامد بن الحاج 6
حسن الوزان 9 -10
ابن الحكم 9

د

الداي حسين 12-46-54
دبوش 19 -17
دريان لبدل مارت 28
دوقيدون 59 -60
دولاكروا ا32 -68
دوليني 70
دوماس 31
دومال 30

بوزيان 31-62-64-56
بوشوشة 67
دي يفال 45
ديفو 32
دي فوكو 19-20-21-22-23-33-61-96-76
دي قرابسيه50
دي موريس 13-28-29
ديمونتس 54

ر

راندون 24
الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس 36
روجيه 26
روشي 19
رولاند 1-11
ريني بوتي 11

ز

زوبير ولد بوبكر 3 2

س

ابن سالم 31
سان جرمان 30 -35
سعد الله 16-23-28-77
ابن السعيد المغربي الأندلسي 9
سي الأعلى 71
سي سليمان 70
سيقوني 34
سي محمد بن حمزة 70
سي محمد الصغير التجاني 63

ش

شارون 30
شارل العاشر 16
شاليه 34

ع

عبد الحميد ابن باديس 75
عزي الحاج أحمد 36
العياشي 10
دي برمون 16
دي دوبوش شال 49-50
ديغول 26
فلاترس 25 -50-68
فلامون 24-35
فولارمي 68
فيرديناند فورو 24

ق

قارديل 34
بن قانة 40 -62-63
قدورة ولد حمزة 71
قوتيه 14 -15
قيدون 57-60

ك

كاربوسيا 65
كامبون 7 -19
كانروبير 31
كانووبال 31
كلاماجرون 6 -7
كلامونت توناز 27
كيرمون تونييز 16
كوستين 33
كولوبيير 72
كونراد كليان 3
كونت لومبال 11

ل

لابرين 33-42
لافريال 35
لا فيجري 18-19-20-50-73
لموريسيار 18
لروفادور 27
لورمال 31
لومبال 11
لويس ريني 63
لويس 71
ليوتي 37-45

ف

فانيسان دي بول 17
فرنسوا إيلي روادير 48
فرديناند دلسيس 48
دفريناند 16
محمد بن ابي القاسم 75
محمد بن عبدالله 32-62-64-66
محمد علي بن شبيرة 65
منيسترال 37
مهدي لد باجوة 35
مورنس فاغنر 10
موسون 25
موسى أق مستان 33-69

ن

ناصر بن شهرة 64-67
نوشار 41
نيال أوليدون 6

ه

الهاشمي ابن ابراهيم 28
هربيون 30 -31-65
هنري بن دوفيري24

و

وارني 54
وليام هدسن 10

ي

يحي بوعزيز 15 -47
اليعقوبي 9
يوجين فرومنستان 27

م

مارشال ليوطي 28-29
ماريه 32
ماريه مونج 31
ماكس مارستون 11
ماك ماهون 54

□

أ

أتاكور 3
أدرار 3
إدلس 3-34
إسبانيا 33 -44
أسكرام 20
إسكاو 34
الأغواط 7-17-18-19-20-24-25-30-31-32-40-43-61-64-76-70-72
إفريقيا 9-10-12-17-76
أقابلي 34-35
ألمانيا 44
إليزي 66
أمادور 3
أمسماسة 14
أمقيد 25
آناحف 3
الأندلس 9-16
الأوراس 4-30-56-64-65-66
أوزيكرام 3
أوغرطة 1-2-3
أولف 34-35
أيرفود 3
إيغلي 36-41-51
الأيقوراس 35
إيلمان 3
إينغر 36

ب

باتنة 30-32-38-25-55-65
برازيقة 34
بريان 8
بريطانيا 44
بسكرة 8-10-28-38-39-43-47-48-55-62
بشار 7 -30-40-45-71
بشلو 43
بني عباس 5-21
بني ونيف 43
البيض 3-17-37-43-61

ت

تادميت 20-03-11-24
تاديكالت 35-41
تازووك 33
تلسلي أزجير 52
تاسلي ناجر 3-7
تاهات 3
تتزروفت 3
تقرت 9-10-17-20-28-32-40-43-55-62-64-67-68
تلمسان 66
تماقرون 14
تمنراست 20-21-40-68-69
تمبكتو 7-68
تنتقيرت 11
توات 5-11-34-35-37-41-43-51
تونس 1- 28
تيارت 1-50-64-72
تيماسين 40-73
تيميمون 8-37

ج

جانت 33-34-41-66-69-76
الجلفة 8-43
جنيف 29

ح

حاسي إيمولاي 25
حاسي تويزة 25
حاسي شبابة 41
حاسي مقسم 24
حاسي مويلح 25
الحضنة 2-65
حمادة غير 2-3

ر

رق أجمار 24

بوسعادة 15-29-31-62-64-65-73-76

ز

الزاب 2-9-30
زوزفانة 36-37-41-45
الزيبان 2-30-62-64-65

س

الساورة 2-4-34-37-41-71
سطيف 71
السنيغال 13- 23
السودان 11-13-14-25-75
سوريا 22
سويسرا 29
سيناون 12

ش

شط الجريد 2
شط ملغيغ 2-4-12
الشلف 18

ص

الصومال 76
صنهاجة 9
الصحراء الغربية 1

ط

طولقة 10-65

ع

العرق الكبير 2
عرق الشيخ 2
عين الصفراء 12-30-37-42-43-50-51
عين صالح 3-17-24-35-39-40-41- 42
عين غار 35
عين قزام 3
عين الفنار 25

رويسيات 33-66
روما 16
فزان 8
الفقيق 8-37-45-67-70-72
فوقارات 24

ق

قسنطينة 13-25-32-68-70-72
قصر زكار 31
قمار 12-33
قورارة 33-37-61-72

ك

كولومب 8

ل

لبنان 22
ليبيا 1-3-11-58-64-79
ليشانة 65

م

مالي 2-13-64
متليلي 7-68
مستغانم 51
مسيلة 9-30-64
مشرية 43-56
مصر 1-11-23-28-75
معسكر 64
المغرب 1-20-34
مليلة 8
منيعة 2-17-19-20-24-31-37-40-41-43-55
موريطانيا 1-2-64
ميزاب 2-6-8-31-32-56-67

ن

النيجر 1-13-64
نيراك 14

هـ

غ

غات 24-58-68
غدامس 12-51-58
غرداية 5-7-8-9-19-20-25-30-42-61-62-64
غرسة 2

ف

فرفار 65
واد ريغ 2-4-5-6-7-8-9-32-55-66
واد زرقون 4
واد الساورة 4
واد فاناس 4
واد ميزاب 5
واد الناموس 4
الوادي 12
وادي إسلي 34
وادي تيت 33
وادي زكرير 5
وادي سوف 2-5-6-10-29-32-42-73
وادي غير 71
وادي النساء 5
ورسول 34
ورقلة 2-9-10-17-19-20-24-25-31-32-40-
51- 54- 55-61-62- 66- 67- 86

الهامل 67-76
الهقار 1-3-4-13-14-21-23-33-37-38-39-49-
69-66-61

و

واد أيغرغار 3-9
واد تافاست 5
واد جدي 5

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر:

1. الحسن محمد الوزان، وصف إفريقياج1، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
2. أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
3. أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009 م.
4. أحمد ابن إسحاق اليعقوبي، البلدان، تح، محمد أمين الصفناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002 م.
5. عبد الرحمان بن الحكم، فتوح إفريقيا و الأندلس، تح، عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.
6. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1967م.
7. عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح، تق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
8. أبو الفضل ابن المنصور، لسان العرب، م4، دار المصادر، بيروت، 1997م.
9. محفوظ قداش، جزائر الجزائريين _ تاريخ (1830 _1954)، تر، محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، الروبية، الجزائر، 2008م.

ثانياً ـ المراجع:

1ـ الكتب:

1. إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي للجزائر (1881 -1912)، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1996م.
2. إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
3. إبراهيم مياسي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
4. إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1937)، دار هومة، الجزائر، 2009م.
5. إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2012 م.
6. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بدايات الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982م.
7. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992 م.
8. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005م.
9. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج6، ج7، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
10. البشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1989)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006 م.
11. أحمد عبد العزيز، في صميم الثورة الجزائرية- صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار الرحاب للنشر، الجزائر، د.ت.
12. أحميدة عميراوي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1837-1934)، دار المعرفة، الجزائر، 2012م .

13. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
14. العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م، دار المعرفة، الجزائر، 2006 م.
15. الهادي درواز، الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007م.
16. أندري نوشيه و آخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر، رابح إسطنبولي، منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
17. تواتي بومهلة، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1844-1916)ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
18. جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر (1830-1962)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009 م.
19. جمال الدين الدينصوري وآخرون، جغرافية العالم(إفريقيا وآسيا)، ج2، المكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
20. حمدي باشا عمر، نقل الملكية العقارية، دار هومة، الجزائر، 2002 م.
21. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1870)، دار حلب، سوريا، د.ت.
22. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطي، شركة نوابغ الفكر، ط1، القاهرة، مصر، 2008 م.
23. صالح فركوس، ا لمختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم، عنابة، 2002م.
24. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881- 1908 (جانبها العسكري 1881-1883م)، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.
25. عبد الرحمان حبنكه الميداني، أجنحة المكر الثلاثة(الاستعمار-التبشير-الإستشراق)، دار القلم، دمشق، 2000 م.
26. عبد الرزاق عبد الله، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، دار الفكر الغربي، ا لقاهرة، 2006م.
27. عبد السلام بوشارب، القهار أمجاد و أنجاد، (منشورات المتحف الوطني للمجاهد) المؤسسة الوطنية الاتصال و النشر، روبية، الجزائر، 1995م.
28. عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، المطبعة العصرية، ط1، الجزائر، 1968م.
29. عبد القادر خليفي، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010 م.
30. عبد القادر زبادية، دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات الغرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000 م.
31. عبد القادر النايلي، المقاومة والانتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية-انتفاضة الزعاطشة أُنموذجاً-دار الهدى، الجزائر، 2013 م.
32. عبد الله الركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.
33. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة للنشر، الجزائر، 2012م.
34. عدة بن داهة، الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962) ج1، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2008م.
35. علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م.
36. علي عُنايزية، دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، ج2، ط1، د.د، الجزائر، 2012 م.
37. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م.

38. عمر الأنصاري، الطوارق رجال زرق، دار الساقي، د.م.

39. فرج محمود فرج، إقليم التوت خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

40. فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن الغرافيكي، باتنة، الجزائر، د.ت.

41. محفوظ قداش، الجزائر الجزائريين-تاريخ الجزائر (1830-1954)، تر، محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، الروبية، الجزائر، 2008م.

42. محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، ط1، دار البلاغ، الجزائر، 2001م.

43. محمد البجاوي، الثورة الجزائرية و القانون (1960-1961)، دار الرائد، الجزائر، 2005م.

44. محمد الخجخاج، نمو المدن الصغيرة في ليبيا، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2008 م.

45. محمد السويدي، بدو الطوارق بين التغيرات والنبات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م.

46. محمد الظاهرو علي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904)دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، 2009م.

47. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت.

48. محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972 م.

49. محمد عبد الحليم بتشي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة، الجزائر، 2013م.

50. محمد عبد الحميد محمد، الصوفية والجهاد في سبيل الله، دار الوفاء لدنيا الطباعة، إسكندرية، 2007م.

51. محمد عيساوي، نبيل خرشي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1870)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2001م.

52. محمد مبارك كديدة، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، دار المعرفة، لجزائر، 2013 م.

53. مزيان سعدي، النشاط التنصري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892)، ط1، دار الشروق للطباعة، الجزائر، 2009م.

54. مسعود عثمان، الثورة الجزائرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى، عين مليلية، الجزائر، 2012م.

55. هادي محمد، أطلس الجزائر و العالم، دار الهدى، عين مليلية، الجزائر، 1998م.

56. يحي بوعزيز، كفاح لجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

57. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان الطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

58. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

59. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 م.

60. يسري عبد القادر الجوهري، شمال إفريقيا- دراسة في الجغرافية التاريخية-، دار الجامعات المصرية، مصر، 1950م.

2ـ المجلات و المقالات :

1. إبراهيم العيد بشّي، دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، "مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية"، ع11، الجزائر، جوان2013م.

2. إبراهيم مياسي، من مصادر تاريخ الجزائر_ تاريخ السوف في كتابات فيرو أُنموذجاً _، "مجلة المصادر"، ع11، ا لسداسي الأول، 2005 م.

3. إبراهيم مياسي، أضواء على معركة إسين، "مجلة المصادر"، ع4، الجزائر، 2001 م.

4. أحمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود الفعل سكان القهار، "مجلة المصادر"، ع11، المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، السداسي الأول، الجزائر، 2005 م

5. أحمد مريوش، السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية مابين (1900_1936)، "مجلة المصادر"، ع20، السداسي الثاني، 2009م.

6. أعلية علالي، الكتب المدرسية التونسية وإشكالية إعادة كتابة تاريخنا المغاربي، مقال منشور على الموقع الرسمي لجامعة 20 أوت 1955م، جامعة سكيكدة.

7. جواد بشّارة، الإرهاب، الحرب والإسلام، "الحوار المتمدن"، ع307، 14 نوفمبر 2002م.

8. رضوان شافو، قراءة في السياسة الاستعمارية لمنطقة وقلة (1957_1962)، "مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، ع14، جامعة الوادي، الجزائر، جوان 2013م.

9. رضوان شافو، الحملة الفرنسية على وادي ريغ وردود فعل الشعبية (1845_1875)، "مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، ع14، جامعة الوادي، الجزائر، مارس2014م.

10. شهرزاد شلبي، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، "دورية كان الشهرية"ع11، مارس، 2011م.

11. الطيب بوسعيد، الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الإسلامية و كتب الرحالات المغربية خلال العهد العثماني، "مجلة البحوث و الدراسات"، ع15، المركز الجامعي، غرداية، الجزائر، 2011 م.

12. عيسى جعنيط، مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي، في القرن 19م _ثورة الزعاطشة أسبابها وتطورها، "مجلة الدراسات التاريخية" ع9، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م.

13. غالي العربي، ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، "مجلة الرؤية"، السنة الأولى، جانفي، فيفري، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر.

14. بن محمدن، الرحلات الإستكشافية في الصحراء الكبرى، "مجلة العلوم الإنسانية"، ع20، الجزائر، 2013، الجزائر.

15. محمد العباس، مقال في دريفوس العربي، "جريدة القدس العربي"، عدد خاص، فلسطين، 10 ديسمبر 2014 م .

16. مولاي بلحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، "مجلة المصادر"ع41، جانفي 1977م.

17. يحي بوعزيز، أضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة 1848م، "مجلة الثقافة"ع32، الجزائر، ماي، 1976 م.

3 ـ الملتقيات و المنتديات :

1. الحبيب بن عودة، دور الطرق الصوفية أثناء الثورة التحريرية الكبرى، أعمال الملتقي الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية الجزائرية، جامعة السانيا، وهران2005م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

2. خليفة مزياني، الزوايا في المقاومة الوطنية، أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانيا، وهران2005م، منشورات وزارة المجاهدين، 2007م.

3. ديوان حماية، وادي ميزاب و ترقيته، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010 م.

4. رضوان شافو، المقاومة الشعبية ضد التوغل والاستيطان الاستعماري الفرنسي بالجنوب الجزائري، الملتقى الوطني الخامس عشر، المركز الجامعي الوادي، الجزائر، 27فيفري2014م.

5. سعدي شخوم، دور الرحمانين في المقاومة الشعبية، أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانيا، وهران 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007م.

6. ا لظاهر العدواني، الزاوية تقود المقاومة وتشارك في حرب التحرير، أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانيا، وهران 2005م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

7. عدة بن هدة، الخلفيات الحقيقة للتشريعات العقارية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830 _1873 م)، أ عمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

8. عيسى بلقبي، الزوايا في مواجهة السياسة الثقافية والاجتماعية الاستعمارية _ زاوية الهامل أُنموذجاً _، أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانيا، وهران 2005م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

9. عبد القادر خليفي، دور الطرق في المحافظة على الهوية الوطنية، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة و الثورة التحريرية، دار الثقافة، تلمسان 2006م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007 م.

10. محمد بغدادي، المنازعات العقارية المتعلقة بأملاك الدولة والخواص، الندوة الوطنية للقضاء العقاري، مديرية شؤون المدينة، وزارة العدل، الجزائر، 1995 م.

11. محمد مجاود، دور الزوايا في المقاومة والثورة التحريرية، أعمال الملتقي الوطني الأول و الثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية (جامعة السانيا، وهران، 2005م)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

12. محمد مكلي، دور الزوايا الإصلاحية في تحضير ثورة التحرير، أعمال الملتقي الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، جامعة السانيا، وهران 2005م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

13. المركز الوطني للدارسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، سلسلة ملتقيات، الجزائر، د.ت.

14. منتدى الأرشيف، التاريخ العربي والإسلامي، مستعمر الكاب... تاريخ لمن لا يعرفه.

4 ـ الموسوعات والأطالس و المعاجم :

1. المعجم الكبير، معجم اللغة العربية ، القاهرة، 2013م،

2. م، ن، و، الأطلس العالمي، م، ن، و، الجزائر، د.ت.

3. موسوعة أعلام الجزائر (1830- 1954م)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م.

5 ـ الرسائل الجامعية:

1. إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م)، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987م.

2. أحسن دواس، صورة المجتمع الصحرواي الجزائري، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008م.

3. إيمان قرين، السياسة الفرنسية في فصل الصحراء الجزائرية (1956-1962م)، مذكرة ماستر، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014م.

4. بن حامو حنان، أعبودة خديجة، آولف ومقاومة الاحتلال الفرنسي، مذكرة ليسانس، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية، الجزائر، 2009 م.

5. دليلة رحمون، السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر وأثرها على المجتمع الجزائري، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013م .

6. راضية بن حبرو، المكاتب العربية ودورها في إنجاح السياسة الفرنسية بالجزائر(1844-1900 م، مذكرة ماستر، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013م.

7. رشيدي محمد جرابة، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008م.

8. صفاء عريق، المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية(1954-1962)، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013-2014م.

9. عبد الرحمان حرمة، الدور الديني والاجتماعي والثقافي للطرق الصوفية بإقليم توات خلال القرن 17 و18 م، مذكرة ماستر، غير منشورة، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013م.

10. عبد العزيز جيدل، نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر خلال القرن 19م، مذكرة ليسانس، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2009م.

11. عبد الغني بوزيتون، المسح العقاري في تثبيت الملكية العقارية في التشريع الجزائري ، مذكرة ماجستير، غير منشورة، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م.

12. محفوظ بن الصغير، الاجتهاد القضائي في الفقه الإسلامي و تطبيقاته في قانون الأسرة الجزائري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009م.

13. موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف_نشأتها وتطورها(1900-1939م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م.

ثالثاً ـ بالأجنبية:

A :ouvrages :

1. Alfred Baradoune ، Algérie et Tunisie récit de voyage et études ، paris ،librairie plom، 1839
2. Bultein officiel de l'Algérie et des colonies، volume 1,livres numérique ,1850 .
3. Charles du taud , le gouverner général , expose sur la situation général du territoire de l'Algérie , Alger ,1912.
4. Charles Robret Ageron , les Algériennes Musulmans et la Frans (1871-1919) ,T1,paris ,PUF, 1973.

5. Ciamangeeran JJ , l'Algérie Impressine de voyage 17Mais 4 Juin 1873 , librairie genmer baillier , paris ,1874.
6. EF,Gautier , Mission au Sahara ,T1(Sahara algérien) ,librairie armand colin , paris ,1908.
7. H, luny , les désert dans le monde , Payot , paris ,Fance,1964.
8. Haddad Zranssahauem , projet économique ou mirage colonial ?, Rerrue Humaines , hb 16septembre 2001, Universitè mentouri constantine , Alger .
9. Houcin ben Djeddou , Rène lètolle ,comite Française d'histoire de la géologie ,3eme seus ,T1999 Sèamce 17 Mars.
10. HJ , Hugot , le Sahara avant le désert , édition des hespéridés , paris ,France ,1974.
11. I,Bouderba ,voyage à Ghat (du1er out au 1er dècenbre),Bul scc ,G, paris ,1860.
12. Georges Rolland , la conquète du désert (Biskra , Touggourt, l'oud rir), ehallamel et cie éditeurs librairie colonial, France,1860.
13. Louis Rinn , Marabouts Khouanes, Etude sur l' Islam en Alger Adolphe jourdain , libraire Edition ,1884.
14. Rojet et Garelte , l'Algérie , Firmine didot frères editors , paris , 1850.
15. Manchand Max, le Sahara ,édition le touguve, 1975.
16. Niel Odilon ,les géographie de l'Algérie,2eme édition l' le gendre (Bôme) , 1876.

B :documentes :

17. A ,R ,vision , le Souf (mornographie) ,el walid,el oued,2004.
18. Eberhardt I sabelle ,la lttres et Journaliers ,1975.
19. Eberhardt I sabelle ,le Major ,. document électronique
20. Encyclopédie universalis ,France ,S.a-èditeur ,paris ,1980 ,volume 1.
21. 5)les chemins De Fer Africains ,Im annales de Géographien ,1904 ,T13 ,n072.

C :cites Internet :

22. Http// www.1 novembre 54.com/Tarikh.djazair, PHP ? cat =biographie-air2d=pb111.
23. "Sahara"Microsoft , enearte ,2006 ,(CD) Microsoft corporation 2005.

الاستهلال

الإهداء

الشكر والعرفان

المقدمة أ – ت

الفصل الأول: تمهيد حول الجغرافية التاريخية للصحراء الجزائرية ص1

1. الخصوصية الجغرافية لإقليم الصحراء ص1

أ- التشكيلات التضاريسية للصحراء ص1

ب- المناخ والغطاء النباتي بالصحراء الجزائرية ص4

ت- السكان بالصحراء الجزائرية ص6

2. الصحراء الجزائرية بين المنظور العربي الإسلامي والأوربي ص8

أ- الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات العربية والإسلامية ص8

ب- الصحراء الجزائرية من خلال المنظور الأوربي الغربي ص10

3. الأهمية الإستراتيجية للصحراء الجزائرية ص12

أ. أهمية الموقع الطبيعي للصحراء الجزائرية ص13

ب. الأهمية الاقتصادية للصحراء الجزائرية ص14

الفصل الثاني: النشاط الديني و العلمي للاستعمار الفرنسي بإقليم الصحراء الجزائرية ص16

1. **الحملات التبشيرية** ص16

أ. التبشير المسيحي بالصحراء الجزائرية ص16

ب. نشاط الكاردينال لافيجري التنصيري بالصحراء الجزائرية ص18

ت. نشاط دي فوكو التنصيري بالصحراء الجزائرية ص19

2. **البعثات العلمية للصحراء الجزائرية** ص22

أ. دوافع المستكشفين والرحالة الفرنسيين ص22

ب. أهم البعثات العلمية الفرنسية بالصحراء الجزائرية ص23

3. **نشاط الجواسيس الفرنسيين بالصحراء الجزائرية** ص27

أ. الجذور التاريخية للجوسسة الفرنسية بالجزائر ص27

ب. أهم الجواسيس الفرنسيين في الصحراء ص28

الفصل الثالث: سياسات الإخضاع العسكري والسياسي للاستعمار الفرنسي للصحراء الجزائرية ص30

1. **الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء** ص30

أ. الحملات العسكرية في القسم الصحراوي الأوسط ص30

ب. الحملات العسكرية على الجنوب الشرقي ص32

ث. الحملات العسكرية على الجنوب الغربي ص34

2. **الإستراتيجية الفرنسية لإدارة الصحراء الجزائرية** ص38

أ. التنظيمات الإدارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية ص38

- التنظيم الإداري لأرض الجنوب من1845 إلى غاية 1870م ص39
- التنظيم الإداري لأرض الجنوب من 1870 إلى غاية 1900م ص40
- التنظيم الإداري بالجنوب الصحراوي من 1900 إلى غاية1947م ص41

ب. التنظيمات العسكرية بالصحراء الجزائرية ص44

الفصل الرابع: سبل ووسائل الإخضاع الاقتصادية والاجتماعية الفرنسية بالصحراء ص45

1. **المخططات والمشاريع الاقتصادية الفرنسية في الصحراء** ص46

أ. مشاريع المنفعة الاستعمارية ص47

- البحر الداخلي ص48
- مشاريع السكة الحديدية ص49

ب. مخططات إضعاف الاقتصاد المحلي للمجتمع الصحراوي الجزائري ص50

- مصادرة الأراضي ص51
- السياسة المائية ص54
- الإرهاق المالي والسيطرة التجارية ص55

2. **سياسة ضرب البنية الاجتماعية لمجتمع الصحراء الجزائرية** ص59

أ. إضعاف القضاء الإسلامي بالجزائر وتحطيمه ص59

ب. سياسة طمس الهوية الجزائرية ص61

ت. سياسة التفرقة والاحتواء ص62

الفصل الخامس: موقف الجزائريين من سياسات الاستعمار المختلفة ص64

1. **مقاومة التوسع العسكري الفرنسي بالصحراء الجزائرية** ص64

أ- المقاومة في القسم الأوسط من الصحراء ص64

ب- المقاومة في القسم الشرقي من الصحراء ص66

ت- المقاومة في القسم الغربي من الصحراء ص70

2. **الطرق الصوفية وزوايا العلم بالصحراء الجزائرية ودورها في الحفاظ على الموروث الحضاري** ص73

أ- نبذة تاريخية عن الزوايا والطرق الصوفية في الصحراء الجزائرية ص74

ب- الطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية في مواجهة الاستعمار (السنوسية أنموذجاً) ص75

ت- زوايا العلم بالصحراء الجزائرية في مواجهة الاستعمار (زاوية الهامل أنموذجاً) ص76

الخاتمة ج-خ

الملاحق ص77

الفهارس ص83

قائمة المصادر والمراجع ص89

فهرس المحتويات ص96

تجارت الکترونیک